شاهين بك مكاريوس

المقتطف

الجزء الاول من المجلد السابع والثلاثين

١ يوليو (تموز) سنة ١٩١٠ — الموافق ٢٤ جماد الثاني سنة ١٣٢٨

شاهين بك مكاريوس

اذا كُتب تاريخ النهضة الحديثة في الشام التي ابتدأَت فيهِ منذ خمسين عاماً وتدرَّجت في ارتقائها حتى بلغت ما بلغتهُ الآن وعُزي كل فضل فيها الى ذويهِ خصَّ المدارس والمطابع والجمعيات العلمية والادبية والصناعية الجانبُ الاكبر منهُ وذُكر اسم الفقيد بين اركان هذه النهضة لا لانهُ الَّف كتباً علمية وطبية كفان ديك وورتبات او ادبية ولغوية كاليازجي والبستاني ولا لانهُ انشأَ المدارس الكلية كبلس او وسَّع نطاق العلوم الطبيعية كبوست بل لانهُ ساعد على نشر المعارف واعان طلاَّبها والمشتغلين بها جهد طاقتهِ . واذا اعتبرنا قلَّة وسائطهِ وانهُ لم يدخل مدرسة عالية قط ظهر لهُ فضل كبير على الذين نشأُوا في بيوت العلم والفضل

وقد كتبنا في اليوم التالي لوفاتهِ سطوراً في المقطم جريدتنا اليومية الصادر في ١٤ يونيو نعيد نشرها هنا لانها خلاصة ترجمتهِ ونلحق بها ما يناسب المقام

اخونا شاهين

اصبحنا نحن الثلثة اصحاب هذه الجريدة اشبه الناس في اعتبار الجمهور بالشخص الواحد منا بثلاثة اشخاص . فكم من كتاب يأتينا كل يوم معنوناً باسم الدكتور « صروف نمر » او باسم « نمر مكاريوس » كأَن لا فرق في اعتبار الكاتب بين يعقوب صروف . وفارس نمر . وشاهين مكاريوس . وكثيرون من الذين يفرقون بيننا ويعلمون اننا ثلثة لا واحد يحسبوننا ثلثة اخوة ابناء اب واحد وام واحدة ويظهرون من العجب والدهشة ما لا يوصف متى علموا اننا ثلثة رفقاء لا قرابة بينهم ولا نسب ولكن جمعتهم جامعة الصداقة والمودة منذ نعومة

اظفارهم الى ان وخط الشيب رؤُوسهم وفرّق الموت بينهم باختطاف ثالثهم وترك اوليهم ينوحان عليهِ

نحن نكتب هذه السطور للجمهور فيقتضي المقام ان يكون الكلام مطابقاً لاعتبار الجمهور . ولما كنا في اعتبار معظم الجمهور إما شخصاً واحداً او ثلثة اخوة مشتركين معاً في شغل واحد اتخذنا هذا الاعتبار ذريعة لنا الى تلطيف احزاننا وتخفيف ضرام الحسرات المتأججة في فؤَادنا بجعل عنوان هذه المقالة « اخونا شاهين » لانها احب الالفاظ الى سمعنا وارق المعاني التي تنبسط لها نفسنا

من أشق الواجبات على الصحافي ان يفقد اليوم عزيزاً من اعز الناس عليهِ وان ينشئَ غداً مقالة عنهُ اذا قرأها القريب قال ان منشئها لم يقصر فيها ولا بخس عزيزهُ حقهُ واذا قرأها الغريب قال ان منشئها لم ينشئها وهو عبد عواطفهِ واسير اهوائهِ فاعتدل وانصف ولم يبالغ في اطراء فقيدهِ ولا تجاوز الحدود في تأبينهِ وتعظيم فعالهِ . ولما كنا نخط هذه السطور والدمع يمتزج بالمداد والحزن ملء الفؤَاد فنحن في اصعب مقام يستطيع الصحافي قضاء الواجب عليهِ فيهِ قضاء من لا يميز بين حبيب وغريب ولا يفرق بين بعيد وقريب . ولكن « اخانا شاهين » اتصف بصفات كان شذا عبيرها يملأُ آفاق كل بقعة حلها وامتاز بمزايا ظهرت في البلاد كلها فلا خوف على الصحافي من الخطاء في وصفها او المبالغة فيها مهما كانت احوالهُ من الحزن او السرور والضيق او الفرج والهيجان او السكون

لم يطلع احدٌ على ترجمة حياة « اخينا شاهين » الا اعترف من فورهِ بانهُ كان «عصامياً» بكل معنى من معاني الكلمة وانهُ امتاز بصفات العصامي امتيازاً لا ينكرهُ عليهِ احد . ولد في قرية صغيرة اسمها ابل السقي من قرى مرج عيون بسورية في ٢٠ مارس سنة ١٨٥٣ ميلادية ولم يبلغ الرابعة من عمرهِ حتى توفى الله والدهُ فبات يتيماً . وحدثت فتنة سورية المشهورة سنة ١٨٦٠ فاريقت فيها الدماء واحرقت فيها المنازل او نهبت وسلبت المقتنيات والامتعة وفقد اخونا شاهين كل ما ترك لهُ والدهُ من متاع الدنيا فخرجت بهِ امهُ وهو صبي صغير ويتيم فقير وجاءت بهِ وباختهِ وهي طفلة الى بيروت حيث كان عمهُ المرحوم جرجس شاهين (والد حضرة الكاتب البليغ اسكندر افندي شاهين محرر جريدة الوطن)

ولما سكنت نار الفتنة وعاد الامن الى نصابهِ عادت والدتهُ بهِ وباختهِ الى قريتهم فتعلم هناك القراءة البسيطة على معلم فاضل هو اليوم القس يواكيم مسعود ومن اعز اصدقاء الفقيد وانشأَ المرحوم جرجس شاهين حينئذٍ مطبعة اسمها المطبعة الوطنية فجاء اخونا شاهين الى

بيروت ثانية وطلب من عمهِ ان يسمح لهُ بتعلم جمع الحروف وصناعة الطباعة في مطبعتهِ لانهُ يعرف القراءة والكتابة فادخلهُ الى المطبعة وعمرهُ حينئذٍ تسعة اعوام او عشرة · فاجتهد في صناعتهِ الاجتهاد الفائق الذي اشتهر فيهِ بين جميع المعارف والاقران فتعلمها في زمان قصير وبرع في جمع الحروف براعة غريبة وجعل يفوق رفاقهُ واحداً واحداً في صناعة الطباعة حتى صار اولهم وهو غلام وهم شبان وكثيرون منهم من سن والدهِ · ولكن اجتهادهُ لم يقتصر على تعلم الطباعة بل طمعت نفسهُ باكثر منها كثيراً من اول عمرهِ · فقد كان علماءُ بيروت وشعراؤُها وادباؤُها يختلفون كثيراً الى المطبعة الوطنية لطبع مؤلفاتهم وقصائدهم وتصحيحها فكان يسرع الى مقابلتهم وبيدهِ المسودة لكي يصححوها فيجدونها قليلة الخطاء متقنة الجمع حسنة الترتيب مضبوطة الشكل في الغالب فيسرون بها ويمدحونهُ على مسمع من عمهِ ويطلبون ان يقضى شغلهم على يدهِ حتى جعلهُ عمهُ مدير مطبعتهِ

وكان يلتقط منهم الفوائد الصرفية والنحوية والعروضية لانهُ لم يدرس هذه العلوم ولا غيرها على استاذ طول حياتهِ · ويظهر من النجابة والذكاء مع رقة عظيمة في الطباع ولطف في الاخلاق ما اكسبهُ اعجابهم بهِ وميلهم اليهِ · ومصادقتهم لهُ مصادقة دامت طول حياتهم فظل يكاتب كثيرين منهم مدة اقامتهِ بمصر حتى فرَّقت المنون بينهُ وبينهم · ووافق ذلك ميلهُ الفطري وسليقتهُ التي طبع عليها فجعل يقصد مجالس العلماء والادباء ويقتدي بهم في المطالعة والانشاء حتى تعود النثر ونظم الشعر ولهُ مقالات كثيرة وقصائد حسان نظمها وهو يافع من دون ان يدرس على استاذ كما مرَّ بنا

وظلَّ مديراً للمطبعة الوطنية اربع سنوات تعرف احدنا بهِ في اواخرها وكان عند تقابلهما يقرأُ منظومة لهُ على بعض اصدقائهِ · ثم دخل المطبعة الاميركية في بيروت ولم يقضِ فيها الا القليل حتى استوقف اجتهادهُ وبراعتهُ في صناعتهِ ابصار استاذنا العلامة الكبير المرحوم الدكتور كرنيليوس فان ديك فجعل اعتمادهُ عليهِ في جمع اعسر مؤلفاتهِ الرياضية جمعاً وخصوصاً جداول اللوغارثمات لقلة ما يرتكب في جمعها من الخطاء ومال اليهِ رحمهُ الله كثيراً فكان يخاطبهُ دائماً بقولهِ « اخي شاهين » واذا ذكرهُ امام الآخرين قال انهُ مثال الاجتهاد واللطف وجبار من الجبابرة في انجاز الاشغال

ولا نطيل الشرح بسرد الحوادث التي مرت في حياتهِ من هذا القبيل اذ هذا ليس المقصود من هذه العجالة وانما نقول ان هذا الغلام الذي ابتدأَ العمر يتيماً مسلوباً فقيراً ولم يقرأ العلم على استاذ كان شديد الغرام بالادب ومعاشرة العلماء والادباء فانهُ لم تكد تنشأُ جمعية

ادبية او علمية في بيروت ايام وجودهِ بها الا كان من موءسسيها او من الاعضاء القدماء فيها ولما تزوج وفتح بيتاً كان منزلهُ شبه دار يجتمع فيها اهل العلم والادب ويقصدونها من كل حدب وصوب . ووسع علاقاتهِ الادبية في كثير من انحاء مصر وجميع انحاء سورية وسائر البلدان الشرقية التي تقرأُ فيها العربية لما استلم ادارة اشغال المقتطف الذي انشأناهُ بعد ما تمكنت الصداقة من نفوسنا في سن تتوطد فيهِ الاخلاق والطباع ولا تشوب اخلاصهُ شوائب الاثرة والاطماع

فتعاظمت اشغالهُ على قدر ما يحتمل مجال اجتهادهِ حتى لقد اصبح من اوفر ابناء سورية اشغالاً ينشئ ويوءلف ويكاتب ويقوم باشغالهِ في المطبعة ويدير اشغال المقتطف ويحضر الجمعيات الادبية والعلمية ويقوم فوق ذلك كلهِ بما لا نظن احداً من ابناء الشرق قام بمثلهِ من خدمة الماسونية . ولما انتقلنا الى القطر المصري في اواخر سنة ١٨٨٤ وانشأنا مطبعتنا الحالية كان يشتغل فيها كالجبابرة بهمة لا تعرف الكلل ولا الملل وعكف من ذلك الحين على تعليم صناعة الطباعة لكثيرين من ابناء المصريين الذين دخلوا المطبعة وهم ابناء ستة اعوام او سبعة واصبح كثيرون منهم الآن اباء عيال ومن ابرع المصريين في هذه الصناعة وقد انشأ بعضهم مطابع اقتداءً بهِ وكان جمهور كبير منهم يحيط بنعشهِ في تشييع جنازتهِ وكانوا يبكونهُ بكاء الابناء لآبائهم

وقد كان يلقى من الرعاية والاكرام ما يستحقهُ عند كل مقام سام اتصل بهِ . فاتصالهُ باكابر ايران جعل لهُ منزلة عظيمة عندهم واكسبهُ انعامات شتى من انعامات ملوكهم وامرائهم . ومساعيهِ العظيمة الماسونية اكسبتهُ صداقة كثيرين من اكبر اقطاب الماسونية في اميركا وغيرها . وقد حظي بالرعاية والاكرام عند عظماء المصريين واكارمهم واكتسب صداقة جمهور عظيم جدًّا من امرائهم واعيانهم وعمدهم . ومما كان يساعدهُ على ذلك كثيراً رقة طباعهِ وعلو همتهِ واستعدادهُ لخدمة اصدقائهِ وخلوهُ من التكلف في اقوالهِ وافعالهِ فلا يتردد على مجلس عين من الاعيان مدة يسيرة من الزمان حتى تسمعهُ يخاطبهُ بعبارات خالية من التكلف ودالة على الوداد . . فما كنا نسمعهُ من استاذنا المرحوم الدكتور فان ديك في خطابهِ لهُ وكلامهِ عنهُ كنا نسمعهُ عنهُ من كثيرين من اعاظم اهل هذا القطر وافاضلهم

ومما كان يزينهُ فوق ذلك كلهِ حنوهُ ورقة قلبهِ فقد اسر بهما قلوب كثيرين من معارفهِ كما تسلط بهما على قلوب اولادهِ وذويهِ تسلطاً ظهر باعظم مظاهره في بكائهم لهُ ونوحهم عليهِ وذكر هاتين الصفتين خصوصاً فيهِ

ولم ينسَ هذا العصامي قط ما يلقى الذين يكونون في اول عمرهم كما كان من الشدة والضنك فكان يجود بمساعدة غيرهِ بسخاء ربما فاق طاقتهُ في بعض الاحيان · فكم انفق على تربية بعض وتعليم اخرين من اقاربهِ وكم بذل لمساعدة المحتاجين وهو يفعل ذلك من غير ان تعلم يسراهُ ما تعطيهِ يمناهُ · وقد ربى عائلتهُ الكبيرة احسن تربية وبذل جهدهُ حتى علَّم اولادهُ في احسن مدارس بلادهِ وعاش عمرهُ وهو يقصد لجميع الناس خيراً ولا يريد لاحد شرًّا

وبعد ما قضى نيفاً وخمسين سنة من عمرهِ وهو يجاهد جهاد الابطال ويصل الايام بالليالي في الاشغال تطرق اليهِ الضعف وبدت عليهِ آثار التعب فجعل ينوء باثقال الاشغال ويقول انهُ لم يبقَ لهُ جلد على الاعمال · وذهب منذ عامين لقضاء الصيف في جبل طرودس بجزيرة قبرس وترويح الصدر وتبديل الهواء · فاحس بتجدد عافيتهِ وكتب منها رسائل عديدة الى المقطم ولكن اصابتهُ نوبة هناك اوشكت ان تقضي عليهِ · ولما عاد الى هنا علمنا انهُ أُصيب بنوع من الشلل وانهُ لم يعد يستطيع العمل فالححنا عليهِ في الاستراحة وقضى هذين العامين وهو يؤمل الشفاء وعود القوة ولكن توالت عليهِ النوبات ولم يجدِ العلاج بالكهربائية وجعل جسمهُ ينحط · غير انهُ كان لا يزال قويًّا يحتمل جسمهُ المعيشة عشرين سنة مع الراحة · قضى يومهُ اول امس (الاحد ١١ يونيو) على غاية ما يرام في حديقتهِ بحلوان ولما امسى المساء تعشى مع عائلتهِ وسهر ثم خلع ثيابهُ لينام ولما دخل سريرهُ ناداهُ داعي الردى فلباهُ في ثانية من الزمان بلا وجع ولا آلام ورقد بسلام · انتهى

وقد شُيّعت جنازتهُ في اليوم التالي من حلوان الى القاهرة فالكنيسة فالمدفن باحتفال عظيم مهيب مشى فيهِ جمهور كبير جدًّا من العلماء والكبراء وصفوة الاصدقاء والاحباء فوارينا جسمهُ التراب وعزاؤنا ان هذا الفراق الوقتي يعقبهُ لقاء ابدي وان فقيدنا ربَّى عائلة كبيرة يفتخر بها الاباء وخلَّف من الآثار الادبية والعلمية ما يخلّد ذكرهُ مدى الادهار

واخصُّ ما امتاز بهِ بين اقرانهِ من الاعمال النافعة اتقانهُ لصناعة الطباعة وتعليمها لكثيرين من ابناء هذا القطر وعضدهُ للمشروعات العلمية والادبية واهتمامهُ بالجمعية الماسونية · اما الامر الاول فحسبنا دلالة عليهِ الرسائل التي وردت من تلامذتهِ الذين علمهم هذه الصناعة وصاروا الآن رؤساء مطابع كبيرة مشهورة باتقان طبعها · اخذ هذه الصناعة عن اربابها في مدينة بيروت واتقنها بالممارسة ثم علمها لكثيرين في هذا القطر بالمزاولة ولا يخفى انها الدعامة الكبرى لتقدُّم المعارف ونشر العلوم وان الكتب السقيمة الحرف والطبع تتعب النظر في استجلائها

والعقل في فهمها فكل ما يصلحها يزيل عقبةً كبيرة من سبيل العلم ويسهّل انتشارهُ

والامر الثاني وهو عضدهُ المشروعات العلمية والادبية بمصادقة اربابها ومشاركتهم فيها فقد كان ميالاً اليهِ من صباهُ كأنهُ فطر عليهِ حتى صار بيتهُ نادياً للعلماء والادباء كما تقدم. وكان لهُ اتصال بكثيرين من ذوي المقامات العالية فاستعان بهم على اغاثة الملهوفين واعانة طلبة العلم بكل ما تصل اليهِ يدهُ وينالهُ سعيهُ

والامر الثالث اهتمامهُ بالماسونية فانهُ فاق كل اهتمام. ولا يخفى ان الجمعية الماسونية هي الجمعية الوحيدة التي يرجى منها نزع التحزّبات الدينية التي اضرّت بالشرق وربط ابنائهِ كلهم برباط المحبة والوئام على اختلاف اجناسهم واديانهم . ترى المحفل الماسوني يجمع بين المسلم والمسيحي والاسرائيلي وهم متآخون متعاضدون على اختلاف عقائدهم وعلى التباين بين درجاتهم في الهيئة الاجتماعية . ايُّ محفل يتعانق فيهِ المسلم والمسيحي والاسرائيلي كالمحفل الماسوني . اي محفل يتعانق فيهِ الامير والوزير والعالم والتاجر والصانع كأَنهم ابناء بيت واحد وعائلة واحدة كالمحفل الماسوني . ولقد كان لاخينا الفقيد شغف شديد بنشر الماسونية وانشاء محافلها وجمع اخبارها واختيار المترجمين لترجمة ما كتب عنها الى العربية ونشرهِ فيها فاذا افادت هذه الجمعية بلادنا العربية الفائدة التي ترجى منها فلهُ سهم كبير من ذلك . وقد عرفت لهُ المحافل الماسونية هذا الفضل فمنحتهُ اعلى درجاتها وقلدتهُ اعظم وساماتها

بقي اننا انشأنا المقتطف سنة ١٨٧٦ ومرَّت علينا السنة الاولى ونحن نكتبهُ ونتولَّى كل ما يتعلَّق بادارة اشغالهِ فرأَينا في آخر السنة ان نسلم تلك الادارة لمن يقوم بها حتى نتفرَّغ للانشاء فعرضناها على فقيدنا فقبلها مسروراً(١) ثم لما عقدنا النية على مغادرة بلاد الشام والاقامة في القطر المصري في اواخر سنة ١٨٨٤ ترك عملهُ في بيروت ورافقنا الى هذا القطر ولم نفترق من ذلك الحين . وكنا نرجو ان يفسح الله لهُ في الاجل حتى يتمتَّع بثمار اتعابهِ مستريحاً من عناء الاعمال ولكن وافاهُ القدر المحتوم ولا مردَّ لقضاء الله

وما الناس الاَّ راحل بعد راحلٍ الى العالم الباقي من العالم الفاني

ولقد خلَّف لاولادهِ واخوانهِ واصدقائهِ خير قدوة يقتدى بها في علو الهمَّة وسلامة النية وحسن الطوية والسعي المتواصل لما يعلي شأن المرء ويزيد نفعهُ لوطنهِ وهذا اكبر عزاء لنا نحن اخويهِ اللذين فقدنا بفقدهِ اخاً صفياً وخلاً وفياً

وما اودى امرؤٌ اودى وابقى لوراثهِ مكارمُ لا تبيدُ

(١) تجد تفصيل ذلك في صدر الجزء الاول والثاني من المجلد الثاني والطبعة الاولى منهُ

اللغة العربية والطب

(تابع ما قبلهُ)

(اليتن) ورد في لسان العرب « اليتن الولاد المنكوس ولدتهُ امهُ تخرج رجلا المولود قبل رأسهِ ويديهِ وتكرهُ الولادة اذا كانت كذلك وقد ايتنت الام اذا جاءت بهِ يتناً وقد ايتنت المرأة والناقة وهي موتن وموتنة والولد ميتون » وهو في الطب المجيء بالمقعدة وهو ينقسم الى قسمين مجيء كامل ومجيء ناقص والمجيء الكامل هو الذي تنزل فيهِ المقعدة مع الاقدام والمجيء الناقص هو الذي تنزل فيهِ المقعدة وحدها مع انثناء الاطراف السفلى على الجذع او تنزل فيهِ ركبة او ركبتان او قدم او قدمان وعلى ذلك يمكن ان يقال يتن كامل ويتن ناقص . واليتن كما جاء في لسان العرب يكرهُ لانهُ من المجيئات المعيبة ويشاهد في احوال ضيق الحوض والحمل التوأمي والاستسقاء الامنيوسي والدماغي والاندغام المعيب للشيمة وفي احوال تشوهات الرحم واورامهِ وهو اشد خطراً على المولود منهُ في احوال الولادة الطبيعية اي المجيء بالقمة لتعرض الحبل السري في اليتن (المجيء بالمقعدة) للانضغاط بين جدار الحوض ورأس الجنين وقد يتنفس الجنين قبل تمام الولادة ونزول الرأس من تعرض جسمهِ للهواء البارد فتمتلئ المسالك الهوائية بالمخاط والعقي والدم

(العقم) ورد في محيط المحيط « وعقمت مفاصلهُ على المجهول يبست » والعقم يبوسة المفاصل ويوافق Ankylosis في الاصطلاح الطبي وهي اليبوسة في المفصل سواءٌ كانت جزئية او كاملة و (الانكيلوز) اما كاذبٌ ويطلق على الاحوال التي تنشأ فيها اليبوسة من اسباب خارجة عن المفصل كأَثر الالتحام في الجلد او قصر في العضلات التي تحيط بالمفصل او نمو نسيج عظمي في هذه العضلات . او حقيقي ويطلق على الاحوال التي تنشأ فيها اليبوسة من اسباب داخل المفصل وهي قسمان (انكيلوز ليفي او ناقص) وينشأ من التصاقات ليفية داخل المفصل . و (انكيلوز عظمي او كامل) وينشأ من التصاقات عظمية داخل المفصل وعلى ذلك يقال عقم كاذبٌ . وحقيقي . وليفي او ناقص . وعظمي او كامل

(القلاب) جاء في محيط المحيط « القلاب داءٌ للقلب » ويمكن ان يصطلح على هذه الكلمة لتؤدي معنى (Myocarditis) وهو التهاب عضلة القلب وهو قسمان (Parenchymatous myocarditis) وهو ما يحدث في الحميات العفنة الحادة كالدفتيريا والجدري و (Interstitial myocarditis) وهوما يحدث في احوال الروماتزم مصحوباً بالتهاب اغشية

القلب وعلى ذلك يقال قلاب برنخيمي وقلاب خلالي

(الوتين) جاء في لسان العرب « الوتين عرق في القلب اذا انقطع مات صاحبهُ. ابن سيده الوتين عرق لاصق بالصلب من باطنه اجمع يسقي العروق كلها الدم ويسقي اللحم وهو نهر الجسد وقيل الوتين يستقي من الفؤاد وفيه الدم » ولعل الوتين هو ما يسمى عند الاطباء (Pulmonary artery) اي الشريان الرئوي وهو الوريد الذي يخرج الدم الفاسد من القلب

(الخثر) جاء في اقرب الموارد « خثر اللبن خثراً وخثوراً وخثراناً ثخن واشتد » وذكر فيه ايضاً « تخثر اللبن ثخن واشتد » وقد استعمل التخثر الدكتور خليل خيرالله في قاموسهِ الطبي تعريباً لكلمة (Thrombosis) وهو تجمد الدم في الوعاء ولا بأس من هذا الاستعمال

(البدن) ذكر في مختار الصحاح « البدن بضمتين مثل البُدْن وهو السمن » ويوافق ذلك (Obesity) وهو السمن العام الذي يكون احياناً وراثياً او من كثرة الاكل وقلة الحركة والادمان

(الاقران او الاستقران) ورد في محيط المحيط « اقرن الدمل واستقرن نضج وحان انفجارهُ » ويماثل في الانكليزية (Pointing of an abscess)

(الحرَج) ورد في نجعة الرائد للمرحوم اليازجي « وحمل على الحرَج بفتحتين وهو خشب يشد بعضهُ الى بعض تحمل عليهِ الموتى وقد يحمل عليهِ المريض » وهو يقابل ما يسمى بالانكليزية (Stretcher) وهي التي تعرف بالنقالة

(ذرب) جاء في نجعة الرائد « ويقال ذرب الجرح اذا فسد واتسع ولم يقبل الدواء وبهِ جرح ذرب » وارى ان تستعمل كلمة (ذَرِب) تعريباً لكلمة (Phagedenic) وهي تستعمل صفة للقروح والجروح والغنغرينا اذا فسدت واتسعت

(الجوف) ورد في محيط المحيط « ويطلق الجوف عند الاطباء على قسمين من البدن احدهما يسمى الجوف الاعلى وهو المشتمل على آلات التنفس وما يجاورها وهو فضاء الصدر والثاني يسمى الجوف الاسفل وهو المشتمل على آلات الغذاء وهي المعدة والامعاء » وذكر فيهِ ايضاً « والجائفة الطعنة التي تبلغ الجوف » ويقسم الجراحون جروح الصدر والبطن الى قسمين جروح نافذة (Penetrating wounds) وجروح غير نافذة (Non-penetrating wounds) وارى تسمية الجروح الاولى الجروح الجائفة لما ان هذه اللفظة تؤدي المعنى تماماً وهو وصول الجرح الى الجوف

الدكتور محمد عبدالحميد
حكيم اسبتالية قليوب

الشعراء والسرقات او المآخذ الشعرية

(١)

فان توافق في معنىً بنو زمنٍ   فان جلَّ المعاني غير متفقِ
قد يبعد الشيء عن شيءٍ يشابههُ   إن السماء نظيرُ الماء في الزرَقِ
(المعرّي)

اختلفت مذاهب الناس في السرقات فعدَّ العربُ ذلك عيباً ولاسيما في جاهليتهم وعقدوا لهُ في كتب الادب باباً خاصاً. وممن اشار اليهِ الشيخ عبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة ٤٨٧ هـ (١٠٩٤ م) واضع علم المعاني والبيان في كتابهِ (اسرار البلاغة). قال ابن رشيق في العمدة وهو اي الجرجاني اصح مذهباً واكثر تحققاً من كثير ممن نظر في هذا الشأن. وسبقهُ ابو هلال الحسن بن عبد الله العسكري المتوفى سنة ٣٩٥ هـ (١٠٠٤ م) فذكر السرقات في كتاب الصناعتين (اي الكتابة والشعر) وقال انهُ تفرَّد في التمثيل بين قول المبتدئ والتالي وتبيين فضل الاول على الآخر والآخر على الاول اذ كان العلماء قبلهُ ينبهون على مواضع السرقة فقط فزاد عليهم. ثم عقبهُ ابو علي الحسن بن رشيق القيرواني المتوفي سنة ٤٦٣ هـ (١٠٧٠ م) في كتابهِ (العمدة) في صناعة الشعر ونقده ثم التفتازاني في مطوَّلهِ وابن الاثير في مثلهِ السائر وجلال الدين السيوطي في كتابهِ (عقد الجمان) الى غيرهم ممن زادوا على من تقدمهم واكثروا الامثلة تبسطاً في البحث

وزبدة ابحاثهم ان المتأخر لا غنىً لهُ عن تحدّي المتقدم والوقوف على منظومهِ ومنثورهِ ومطالعة بنات افكارهِ والنسج على منوالهِ على حد قول الامام علي بن ابي طالب «لولا ان الكلام يُعاد لنفد» وقول الآخر «كل شيءٍ ثنيتهُ قصر الاَّ الكلام فانك اذا ثنيتهُ طال» على ان الحصري قال في زهر الآداب وثمر الألباب «ان حق من اخذ معنىً قد سبق اليهِ ان يصنعهُ اجودَ من صنعة السابق اليهِ او يزيد عليهِ حتى يستحقهُ واما اذا قصَّر عنهُ فهو مسيءٌ معيب بالسرقة مذموم على التقصير». وقال الجرجاني في اسرار البلاغة «واتكال الشاعر على السرقة بلادة وعجز وتركهُ كل معنى سُبق اليهِ جهلٌ ولكنَّ المختار لهُ عندي اوسط الحالات». وقال ابن رشيق في العمدة «وكانوا يقضون في السرقات ان الشاعرين اذا ركبا معنىً كان أولاهما بهِ اقدمهما موتاً واعلاهما سناً. فان جمعهما عصرٌ واحد كان ملحقاً باولاهما بالاحسان.

وان كانا في مرتبة واحدة روي لهما جميعاً . وانما هذا في ما سوى المختص الذي حازهُ قائلهُ واقتطعهُ صاحبهُ . . . . وأجل السرقات نظم النثر وحلّ الشعر». ولله در ابي تمام بقولهِ

ولو كان يفنى الشعرُ أفناهُ ما قرت حياضك منهُ في العصور الذواهبِ
ولكنهُ صوب العقول اذا انجلت سحائب منهُ أُعقبت بسحائبِ

وشعراء الافرنج ينقل بعضهم عن بعض ولا يعدون سرقة الاَّ ما تعمدهُ الشاعر وادعى ابتكارهُ وهو لغيرهِ

وقيل لابي العلاء المعري : كل معنى للمتنبي نجدهُ منقولاً عن غيرهِ . فقال هذه مآخذهُ من سواهُ لديكم فليصنع كلٌّ منكم مثل ديوانهِ ان كان ذلك في امكانهِ . وسئل ابو عمرو بن العلاء أرأيت الشاعرين يتفقان في المعنى ويتواردان في اللفظ لم يلقَ واحدٌ منهما صاحبهُ ولم يسمع شعرهُ قال : تلك عقول رجالٍ توافت على السنتها . وسئل ابو الطيب المتنبي عن مثل ذلك فقال : الشعر جادة وربما وقع الحافر على موضع الحافر . ولهذا كثر وقوع الحافر على الحافر وتوارد الخاطر . واتفاق الاقوال . وتلاؤُم الافكار . ومن اخصر ما حصرت بهِ انواع السرقات قول العسكري في كتاب (الصناعتين) : ان من اخذ معنى بلفظهِ كان لهُ سارقاً . ومن اخذهُ ببعض لفظهِ كان لهُ سالخاً . ومن اخذهُ فكساهُ لفظاً من عندهِ اجود من لفظهِ كان هو اولى بهِ ممن تقدمهُ

ومن مذاهب العرب في الجاهلية تجنب السرقة ولعلهم لم يحتاجوا اليها لقلة اغراضهم وعدم اتساع كلامهم في الشيء الواحد . واول من ذم السرقة طرفة بن العبد البكري بقولهِ

ولا أُغيرُ على الاشعار اسرقها غنيتُ عنها وشرُّ الناس من سرقا

ثم الاعشى بقولهِ

فكيف انا وانتحالي القوافيَ بعد المشيب كفى ذاك عارا

ولم يمضِ على ذلك وقت طويل حتى قال كعب بن زهير

ما ارانا نقول الاَّ مُعارا او مُعاداً من قولنا مكرورا

فانفتح باب الأَخذ وتسابق الناس الى تناول معاني من تقدَّمهم . ولقد ذم العرب من تجرأ على ذلك ومن اظهر الامثلة ان بشار بن برد العقيلي اجتمع بسلم الخاسر وكان من تلامذتهِ ورواتهِ بعد ان كان قد غضب عليهِ . فقال بشار يا سلم من الذي يقول :

من راقب الناس مات غمًّا وفاز باللذة الجسورُ

فقال خرّيجك (يعني نفسهُ) . قال بشار : افتأْخذ معانيَّ التي عنيتُ بها وتعبت في استنباطها

فتكسوها الفاظاً اخف من الفاظي حتى يُروى ما تقول ويذهب شعري · لا ارضى عنك ابداً · فما زال يتضرَّع اليهِ ويشفع لهُ القوم حتى رضي عنهُ

وهذه القصة اشبه بقصة هوميروس ناظم الالياذة لما سرق تستوريذس احد معلمي الادب في فوقية اشعارهُ وذهب الى ساقص وانتحلها مدعياً انها لهُ · فنظم هوميروس كثيراً من القصائد في ذمهِ منها مقطعة عربتها بقولي وقد نظمها وهو ذاهب الى ساقص بسفينةٍ

استجب نبتُنُ القدير دعائي وتعهد فلكي بريحٍ رخاء
ثم يسر رجوع صحبي بخيرٍ يا الهاً يسودُ فوق الماء
فعساني اصادف الطود ميما س وفي سفحهِ حمى الاتقياء
ناقماً من خصمٍ أثارَ عليهِ غضب المشتري الهِ السماء

وفي لغتنا كثير من هذه الشواهد منها قول ابن الرومي في البحتري

والفتى البحتريّ يسرق ما قال ابن أوس في المدح والتشبيبِ
كلُّ بيتٍ لهُ يجود معنا هُ فمعناهُ لابن أوسٍ حبيبِ

ومن لطائف ابي تمام هذا قولهُ يهجو شاعراً سرق شعرهُ من قصيدة

من عدتْ خيلهُ على سرح شعري وهو للحين راتعٌ في كتابي
غارة اثخنت عيون القوافي واستحلَّت محارم الآدابِ
لو ترى منطقي اسيراً لاصبحتُ اسيراً ذا عبرةٍ واكتئابِ
ياعذارى الكلام صِرتنَّ من بعدي سبايا تُبعنَ في الأَعرابِ
عبقاتٌ بالسمع تبدي وجوهاً كوجوهِ الكواعب الأَترابِ
قد جرى في متونهنَّ من الافرند ماءٌ نظير مـاء الشبابِ
ان ذمي محمد بن يزيدٍ في الذي قالهُ لغيرُ صوابِ
دعهُ يحظى عند الورى باختياري في قصيدي فذاك أيسر بابِ
طال رعبي ياربُّ مما أُلاقيهِ ورهبي اليك فاحفظ ثيابي

وقول الآخر

ما سارق الشعر فيهِ وسم صاحبهِ الأَ كسارق بيتٍ دونهُ غَلَقُ
بل سارق البيت اخفى حين يسرقهُ والبيت يسرقهُ من ظلمةٍ غَسَقُ
من جيد الشعر ان يخفى لسارقهِ وجيد الشعر قد سارت بهِ الرمقُ

وقول الصاحب بن عبّاد لمن سرق شعرهُ

سرقت شعري وغيري يضام فيهِ ويخدعْ
فسوف اجزيك صفعاً بكل رأسٍ واخدعْ
فسارق المال يُقطعْ وسارق الشعر يُصفعْ

وممن اشتهر من شعراء العرب بالسرقة الرشيد الاسواني وكان اسود اللون فهجاهُ ابن قادوس العمري الدمياطي المتوفى سنة ١١٥٩ م بقولهِ

يا شبه لقمان بلا حكمةٍ وخاسراً في العلم لا راسخا
سلخت اشعار الورى كلها فصرت تُدعى الاسود السالخا

وكان سعيد بن حميد الشاعر المترسل المتوفى سنة ٨٨٦ م جيّد السرقة للمعاني حتى قال فيهِ بعض الفضلاء : لو قيل لكلام سعيد وشعرهِ ارجع الى اهلك لما بقي معهُ منهُ شيء

وكان ابو العباس احمد بن سيد من مشاهير الاندلسيين يلقّب باللص لانهُ كان يسرق معاني الشعراء ويخرجها مخرجاً لطيفاً وهو من اهل القرن الثاني عشر للميلاد ومن شعرهِ قولهُ

سلبتَ قلبي بلحظٍ ابا الحسين خلوبِ
فلِمْ اسمَّى بلصٍّ وانت لصُّ القلوبِ

وكان عبد القادر بن طاهر التميمي قد حذا في اكثر منظومهِ حذو منصور الفقيه البصري كما ذكر الثعالبي في درتهِ اليتيمة

وممن ولع بالاخذ ونقل افكار الاعاجم ولاسيما حكماء اليونان ابو العتاهية وصالح بن عبد القدوس والمتنبي والمعرّي وابن الرومي وغيرهم . وولع شعراء آخرون بنظم المنثور منهم ابن الخطير ابو مليح ممّاتي المتوفى سنة ١٢١٠ م فانهُ نظم سيرة صلاح الدين الايوبي وكتاب كليلة ودمنة المشهور . وابن الهبارية المتوفى سنة ١١١١ م نظم كليلة ودمنة ايضاً ولهُ (الصادح والباغم) . وابان بن عبد الحميد اقدم من نظم كتاب كليلة ودمنة بشعر عربي توفي سنة ٨١٥ م . ومن المتأخرين من اشتغل بهذا مثل ابي الحسن عفيف بن محمد الخطيب الذي نظم الاحاديث المنثورة بكتابٍ سماهُ (المنظوم والمنثور) وعبد الله الطرابلسي المتوفى سنة ١٧٤١ م نظم كتاب (رنة المثاني في حكم الاقتباس القرآني) . وابي السعود المصري في نظمهِ تاريخ الجبرتي ورزق الله حسون الحلبي في (اشعر الشعر) والياس صالح اللاذقي في نظم المزامير . ونقولا الترك في نظم بعض المزامير ايضاً . واسعد الشدودي في نظم امثال سليمان الحكيم وغيرهم . وألف كثيرٌ في سرقات الشعراء ولاسيما سرقات المتنبي . وللسمان

الدمشقي كتاب لم يتممهُ ذكرهُ المحبي في خلاصة الاثر قال ولو تم لجاء كتاباً عجيباً

واصطلح العرب ان ما ينظمهُ الشاعر من الكتب الدينية والاحاديث النبوية مطلقاً يسمونهُ اقتباساً . وما يأخذونهُ من كلام غيرهم ويشيرون اليهِ تضميناً . وما ينظمونهُ من المنثورات عقداً . وما يشيرون اليهِ من قصة او حادثة او مثل ونحوها تلميحاً . الى غير ذلك مما لا محل للافاضة فيهِ وسانتخب من كل من هذه الانواع ما فيهِ فائدة وتفكهة ان شاء الله

عيسى اسكندر المعلوف

المتاولة او الشيعة في جبل عامل

(تابع ما قبلهُ)

بدء خضوعهم

ولما استقل الجزَّار بعكاء بدأ باخضاع المتاولة فكانت لهُ معهم وقائع آخرها واقعة يارون حيث ساق عسكرهُ على بلاد بشارة بغتة في ٥ شوال سنة ١١٩٥ فاسرع اليهِ ناصيف بعسكرهِ والتقيا في قرية يارون من جبل عامل قرب صفد فكانت النصرة لعسكر الجزار وزلت بناصيف قدم فرسهِ فابتدرهُ احد الجنود بطلق اصاب منهُ مقتلاً وتفرق العسكر وتشتت شملهُ وجاس رجال الجزار خلال البلاد نهباً وسلباً وقتلاً فاستولى الرعب عليهم ثم هدمت القلاع وحوصرت قلعة شقيف ارنون شهرين وفتحت وهدمت وهرب مشايخ البلاد الى الشام والعراق ثم لجأ جماعة منهم الى عكاء فاستأمن الجزار بعضهم حتى اذا وثقوا بامانهِ غدر بهم الى ان ماتوا في سجنهِ وعذابهِ . ووزع عمالهُ على البلاد وكانت البقية الباقية من مشايخ البلاد تتحفز بقوتها الضعيفة حتى اذا خرج حمزه بن محمد النصار على متسلم تبنين وقتلهُ ارسل اليهِ الجزار سريَّة واقعتهُ في قرية شحور سنة ١١٩٨ فتشتت شملهُ وقبض عليهِ وقتل شر قتلة

ولما دخل العسكر الفرنساوي تحت قيادة نابليون بونابرت بلاد الشام اعطاهُ المتاولة والصفديون الطاعة من انفسهم تخلصاً من عسف الجزار وظلمهِ الشديد ولما انجلى الفرنساويون واطمأن الجزار في ولايتهِ اشتد على بلاد بشارة وساحل صفد ولم يسمع بكبير او ذي وجاهة الاَّ اخذهُ اخذ عزيز مقتدر واستصفى اموالهُ وتركهُ لرحمة زبانيتهِ في سجنهِ ودامت الحال

من سنة ١٢٠٩ هـ الى ١٢١٩ هـ عشر سنين هلك فيها الحرث والنسل . ولما توفي الجزار رجع الى البلاد بعض الراحة وانصرف العاملون الى عمارة ارضهم والسعي في معايشهم الى ان تولى عبد الله باشا الخزندار واشتدت عداوتهُ مع درويش باشا والي الشام فرأى عبد الله باشا ان يعيد للمتاولة سابق عزهم فردَّ مشايخهم حكاماً عليهم واقطع الذين صادر الجزار اموالهم من مشايخهم مقاطعة الشومر كلها لتكون لهم بدلاً من املاكهم المصادرة. كان ذلك منهُ ليستعين بهم على حرب درويش باشا فكانوا في جيشهِ الذي اجتمع على جسر بنات يعقوب على نهر الاردن وفي واقعة المزة وغيرها من وقائعهِ مع درويش باشا . ورأيت شيخاً هرماً اخبرني انهُ كان مع من حضر في واقعة جسر بنات يعقوب تحت قيادة الشيخ فارس الناصيف سنة ١٢٣٧

ولما حل الجيش المصري هذه الديار تحت قيادة البطل المشهور ابرهيم باشا ادخل بلاد بشارة في عمالة الامير بشير الشهابي فقاست من رجالهِ عسفاً وارهاقاً مبعثة تلك الحروب السالفة التي كانت بين اللبنانيين والمتاولة فكان في محبسهِ في صور زهاء الف رجل لكن ابرهيم باشا عاد فرفع سلطة لبنان عن بلاد بشارة

في اثناء هذه الكوارث لم يكن لابناء البلاد يد في لم الشعث ودفع الضيم لما تخلل بينهم من أُولي الفساد فكان المرء يخشى شر قولهِ ولو في كسر بيتهِ . وكان لعسكر الارناووط والدالاتية حيث يغدون بين عكاء ودمشق وصيداء وبيروت ويقيمون في البلاد سلطة استبدادية تضارع سلطة الانكشارية في اخر مدتهم . وكان فرضاً على البلاد ان تقوم بضيافتهم واعطائهم ما يطلبون الى حد الرضا والوقوف عند ارادتهم بغير مقابل ولا عوض

ولما انجلى العسكر المصري عن سورية رجعت مشايخ بلاد بشارة اليها وتولى الحرب مع بقية الجيش المصري الشيخ حمد البيك وكان قبل ذلك في عسكر الدولة في وقائع حمص وما وراءها فقاد المتاولة ودافع جيش المصريين في وادي الجيس قرب عكاء ثم في صفد وطبرية وفي ذلك يقول الشيخ حبيب الكاظمي مادحاً حمداً المذكور

واطئ الهام احتكم فيها بما تنصف الحكمة في البين اقتساما
ودع الحكمة تعطى قسمها للظبى هاماً وللتيجان هاما
ولك السطوة اورت زندها بفلسطين فاكفيت اللهاما
ولكم شافيت قلباً موجعاً بشفا عمرو واحييت رماما

ولما تم انجلاء العسكر المصري قدَّرت الحكومة عمل حمد البيك قائد المتاولة فاعطتهُ حكومة

البلاد باسم شيخ مشايخ بلاد بشارة وسكنت البلاد في زمنهِ الى الراحة واخلدت الى السكون وتمتعت بالرغد الى ان اجاب داعي ربهِ سنة ١٢٦٩ وقام بالامر بعدهُ ابن اخيهِ علي بك الاسعد صاحب المواقف المشهورة في حوادث ١٨٦٠ المندفعة لدى فؤاد باشا المشهور وفي بعضها يقول

بني عمنا من آل فهر ويعرب حماة العذارى في الهياج وسورها
نشدتكم هل موقفي كان هيناً لدى الحضرة العليا التي عز طورها

فكانت ايام علي بك ايام رغد وهناء زهراء ممرعة لو لم تشب في آخر مدتها بنزاع ابن عمهِ تامر بك الحسين معه وانقضت ايامهُ باعتقالهِ واعتقال ابن عمهِ محمد بك الاسعد في صيداء ثم في الشام حيث توفيا سنة ١٢٨٢ ﻫ وقسمت البلاد الى ثلاثة اقضية كما هي الآن ورسخت فيها قدم الحكومة

حالتهم الاقتصادية

ان البحث في تاريخ بلاد بشارة وجبل عامل الاقتصادي قبل القرن العاشر لا يزال قاصراً عن بلوغ درجة التحقيق ولا يخرج البتّ والقطع فيهِ عن درجة الظن والترجيح ولا تصرّح كتب الاخبار ومخطوطات الاوراق المودعة زوايا المكاتب بشيء من ذلك · ولكن المدقق في النظر يرجح ان الفقر كان متمكناً في هذه البلاد الزراعية حيث كان الاستبداد فيها بالغاً حدهُ · وبعد ان انجلت الدولة العلوية عن بلاد الشام وقامت على اثارها الدولة النورية والصلاحية وانبعثت من جانبي بغداد في الرصافة والكرخ روح التفريق بين السنة والشيعة وحمي وطيس التعصب بين الفريقين واستحكم النفور كان الشيعيون في هذه الديار مأخوذين بجريرة اولئك واصبحوا وفيهم مجال لظهور نيات حكامهم السنيين على قدر صلاحها او فسادها

واذا صحت رواية الامير حيدر من انهم هادنوا الصليبيين واعطوهم الجزية ايام استيلائهم على صور فيكون من اسبابها تلك الروح وهاتيك الحالة · ونستدل على انهم انما لجأوا الى غير حاكميهم تخلصاً من ضنك المعيشة وكثرة المغارم وهرباً عن هوة الفقر والخراب كما تخلصوا من عنف الجزار وظلمهِ بانضوائهم الى حماية جيش نابليون الاول والتاريخ يعيد نفسهُ · ومن عرف محبة الحاكم في ذلك العصر وهذا المصر للمال واقتناصهُ اياه باي وسيلة كانت مع فساد نية الحاكم على محكوميهِ بفعل التعصب الذميم علم مقدار الفاقة والظلم ورجح ان الفقر كان ضارباً بجرانهِ في هذه الديار

اما في القرن الحادي عشر لما اخذت نيران الفتن تلتهب في سورية عموماً وفي لبنان

خصوصاً فقد ازدادت الحال سوءًا واشتغل الفلاح بالفتن والحروب عن النظر في زراعتهِ وموارد رزقهِ فنضب معين الثروة وعاد اكثر الاراضي مهملاً بوراً . وبعد ان كانت الاراضي الزراعية متسعة الارجاء في بلاد بشارة اصبحت على طول المدة والاهمال حراجاً واسعة ومراعي الأ بعض الاراضي المجاورة للقرى والمزارع فانها كانت عاملة لحاجة الاهلين الضرورية فتقوم بما يتبلغ بهِ صاحبها من القوت ويؤدي معها بعض الضرائب

ان الفتن والاشتغال بها ليست هي السبب الوحيد لاهمال الزراعة ونضوب معين الثروة بل ان عدم الامن واختلال طرقهِ وقلة التواصل مع البلاد التجارية دعى الى بقاء المحصولات الارضية في بيوت اصحابها فهبطت قيمتها وزهد بالزراعة الزارعون. ولم تكن حاجيات السكان في ذلك العصر شيئاً مذكوراً بل لم يكن للاسراف بينهم معنى يعرفونهُ فكانوا يقتاتون بما تخرجهُ لهم ارضهم من الغلات ويلبسون ثيابهم من قطن ارضهم منسوجاً على انوالهم ويكتفون بالتافه من ذلك كلهِ . وحسبك ان اكبر ما كان يوصف بهِ الغني عندهم انهُ (الفي) اي يملك الف غرش . ولا غرابة في ذلك فقد كان للغرش بعلو قيمتهِ وقلة وجودهِ منزلة حسنة بل كان للغرش في كل البلاد العثمانية في ذلك العصر شأن غير شأنهِ اليوم

ومن الامور البديهية ان قيمة النقد واسعار البيوع كلها امور نسبية فاذا كانت قيمة سلعة مثلاً غرشاً واحداً والدينار عشرة كانت نسبة السلعة الى الدينار نسبة واحد الى عشرة

في ذلك العصر اتت على هذه البلاد سنة مجدبة قاحلة بلغ بها البلاء حدًّا متناهياً بعد ان طاف بها جيش الجراد فلم يبقِ ولم يذر وهي سنة ١٠٧١ ﻫ وعلى ما رواهُ الامير حيدر ان غرارة الحنطة (وهي سبعمائة وعشرون اقة اسلامبولية) بيعت بثمانين غرشاً في جبل لبنان وفي بعض المخطوطات انها هي سنة ١٠٧٠ وان الغرارة بيعت بسبعين غرشاً في جبل عامل ورطل الخبز بيع بثلاثة غروش في دمشق والرطل اقتان او ٨٠٠ درهم . واتفقت الروايتان على ان الجهد بلغ حدهُ في هذه السنة حتى اكلت الناس العظام ولحوم الميتة . اما في سنة ١٠٨١ بعد هذا الغلاء المفرط باحد عشر عاماً فقد بيع الشعير في بلاد بشارة غرارة ونصفاً (٨٠٠ اقة) بغرش واحد وفي جبل لبنان اربعة اكيال حنطة (٢٤٠ اقة) بغرش واحد كما نقلهُ الامير حيدر . ثم عاد الغلاء في سنة ١١٩٥ حتى بيعت الحنطة والفول مدان (٢٠ اقة) بغرش واحد والدخان (التبغ) القنطار (٤٠٠ اقة) بمائة وخمسين غرشاً ولكن في سنة ١١٧٠ بيعت الحنطة الغرارة (٧٢٠ اقة) بتسعة وعشرين غرشاً

مما تقدم نعلم ان الحال ارتقت قليلاً في اواخر القرن الثاني عشر عن حالها في القرن الحادي عشر

كان الغرش في ذلك الزمن اربعين بارة كما هو الآن ولكن نسبتهُ الى الذهب هي غير نسبتهِ اليوم . فقد ورد في تاريخ الامير حيدر في حوادث سنة ١١٩٩ ان المشخص (ذهب المجهار) كانت قيمتهُ اربعة غروش وربعاً وهو يعادل نصف الذهب الانكليزي فنسبة الغرش في ذلك العصر الى الليرة الانكليزية في هذه الايام نسبة اثنين الى سبعة عشر فهو اذاً من غروش اليوم ستة عشر غرشاً وكسور ولكن جودت باشا في تاريخهِ يقول انهُ قد ضرب الغرش بوزن ستة دراهم في زمن السلطان سليمان في القرن العاشر ومثلهُ ضرب في زمن السلطان احمد في القرن الحادي عشر فاذا كانت فضة الغرش حينئذٍ خالصة (ولا اظنها) كانت قيمتها الآن تعادل ثلاثة ارباع الريال او اكثر قليلاً ثم يقول بعد ذلك ان الذهب المعروف بزر محبوب كانت قيمتهُ سنة ١١٤٦ ثلاثة غروش وربعاً وهو يقابل نصف ليرة عثمانية فتكون نسبة الغرش الى الليرة العثمانية نسبة اثنين الى ثلاثة عشر وكما ترى هي اعلى من قيمة سنة ١١٩٩ ويقول بعد ذلك ان الغرش في زمن بكوات الفنار يعدل ١١ غرشاً صاغاً [1]

ان حصول الغلاء المفرط الشديد في سنة ١٠٧١ حيث بلغت الاقة من الحنطة مبلغاً عظيماً لا ينالهُ الفقير وهو اربع بارات (لا تزيد في غروش هذا الزمن عن الغرش الواحد) فاستحل لذلك اكل الميتة يدلنا باوضح برهان على مقدار الضيق وقلة النقود في ذلك الزمن. وكان لبلاد بشارة من ذلك النصيب الاوفر والقسط الاكبر فان في سنة ١٠٧١ التي بلغ بها الجهد مبلغهُ في سوريا كان الرطل الواحد من الخبز في الشام بثلاثة غروش ولكن رطل الحنطة في جبل عامل بلغ ثمانية بارات والفرق بين السعرين كالفرق بين ثروة البلادين

بقيت البلاد العاملية في فقرها هذا تتراوح عليها ازمان الشدة والرخاء حتى حل الجيش الفرنساوي تحت امرة بونابرت ارباض عكاء فكان يبتاع ما يحتاج اليهِ من بلاد بشارة وبلاد صفد باثمان عالية تعادل عشرة اضعاف قيمتها قبل ذاك فعرف اهل البلادين طعم الثروة

---

(١) (المقتطف) ان كتاب الافرنج الذين كتبوا منذ مئة وخمسين سنة الى مئتين سنة يحسبون الليرة الانكليزية عشرة غروش عثمانية فقد كانت قيمة الغرش شلنين او نحو عشرة غروش مصرية او اربعة عشر غرشاً بيروتية

وكثرت النقود بين ايديهم حتى اذا انجلى العسكر الفرنساوي عن عكاء واخلى البلاد الشامية رجعت الحال القهقرى وارهقهم ظلم الجزار فصادر الاموال وتتبع الرؤساء في جبل عامل فلم يبقِ ولم يذر الى ان هلك وتولى الايالة سليمان باشا العظم وبعدهُ عبدالله باشا الخزندار فانصرف الاهلون الى زراعتهم وموارد رزقهم فاصلحوا الارض وجددوا الاغراس ولكن البقية الباقية من شراذم العساكر غادية ورائحة ومقيمة كانت لا تزال مانعة من ركون الفلاَّح الى الراحة ووثوقهِ باستدامة الحال

كان الفلاَّح في البلاد العاملية يفرُّ من عمارة ارضهِ الاَّ ما تدعوهُ اليهِ الحاجة الضرورية فرار الجبان من الزحف حيث كان من يُعرف بانهُ من ذوي الاملاك محلاًّ لضيافة العساكر التي تجول في البلاد آناً بعد آن ومغرَماً للظلمة ومناخاً للاستبداد فكان الشقي من كان ذا ارض واسعة وملك كبير

وقد روى لنا الثقات ان وجيهاً من ابناء بلاد بشارة وكان من ذوي التجارة غضب عليهِ احد زعمائها فاراد نكايتهُ فاقطعهُ قرية كبيرة بتمامها فاستغاث التاجر واستجار من هذه البلية ولم يفز الاَّ بازاحة ثلاثة ارباع القرية عن ملكهِ حيث بقي لهُ ربعها وهو مصدر ثروة ابنائهِ اليوم

دامت الحال كذلك حتى اكتسح ابرهيم باشا المصري بلاد الشام وفتح ابواب التجارة بعد ان نشر الامن في البلاد عموماً وعرف الناس كيف يتاجرون بمحصولات ارضهم واصبحت مصر سوقاً للدخان (التبغ) البشاري فكان منهُ ثروة عظيمة للبلاد جاءت بكل خير ونعمة وامسى الزارع يرفل بثوب السعادة · بلغني ان قد استضاف بعضهم احد كبار المأمورين فلما مد الفلاح المائدة جعل في جملة الوان الطعام صحفة مملوءة بالذهب الوهَّاج فعجب المأمور الكبير لذلك وسئل الفلاح عما اراد بهذا فكان جوابهُ لكي تعلموا ان النعمة قد فاضت في بلادنا بعدل دولتنا العلية · فبكى ذلك المأمور الكبير سروراً · وكان بعض القصابين (اللحامين) في سوق النبطية فاتاهُ احد زرَّاع الدخان ليشتري منهُ لحماً وليس لديهِ غير العملة الذهبية وليس مع القصاب نقدٌ يرجعهُ اليهِ فقبض منهُ ذهباً ليعيد اليهِ البقية بعد ذلك واتاهُ فلاح آخر فكان كالاول وهكذا الى ان قبض خمسة عشر ذهباً من خمسة عشر فلاحاً · وعلمت ان احد الفلاحين باع من محصولات اراضيهِ تبغاً في سنة واحدة ما قيمتهُ ثلاثمائة ليرة عثمانية قبضها دفعة واحدة · فحبذا هذا اليسار وحبذا تلك النعمة التي لبست البلاد بها ثوب الهناء

ولما امضت الحكومة شروط انحصار الدخان في الممالك العثمانية مع شركة (الريجي) واستلمت تلك الادارة اعمالها ضغطت على هذا المورد العظيم ووضعت العقبات في سبيل زراعتهِ وبيعهِ فاحجم عنهُ التجار وهبطت اسعارهُ هبوطاً عظيماً والقيت عليهِ الرسوم الباهظة في مصر فزاحمهُ الدخان اليوناني وغيرهُ فصار الزارع لا يجد المشتري ليبيعهُ ولا المشتري يقدم على مشتراهُ حتى لا يقع في شرك ادارة الاحتكار ولا يقدر الفلاح على ابقائهِ في بيتهِ خوفاً من مصادرة ادارة الاحتكار لهُ ولا هي تشتريهِ بثمن تعوّض بهِ على الفلاح تعبهُ فيكون بعدئذٍ طعماً للوقود . ومنعت ادارة الاحتكار الفلاح ان يحمل سيكارة من محصولات اراضيهِ الاَّ ما يخرج من مخازنها موسوماً بسمتها فكان ذلك ضربة اثرت في جسم البلاد الاقتصادي اثراً مدهشاً ولم يمضِ على النعمة التي كان فلاح بلاد بشارة يتفيء ظلالها ويسحب ذيولهُ في نعيمها بضع سنوات حتى انعكس الحال وامسى الفلاح بعد ذلك يبيع ارضهُ واملاكهُ سدّاً لنفقاتهِ التي عودتهُ عليها نعمتهُ ولم تتم عشر سنوات على ادارة الريجي حتى كانت اكثر القرى ملكاً لذوي الشراء من تجار المدن وسكانها واصبح الفلاح يكد يومهُ ويشقى في عامهِ ليملأ جيب مالكهِ وكان حظهُ الاوفر من مغارم الحكومة فلم تقم اعانة (او بلصة باصطلاحهم) الاَّ وحملت عليهِ وقلدت في عنقهِ وكان على الزارع المسكين ان يوفي مالك ارضهِ (او شريكهُ) ويملأ جيب المختار والتحصيلدار وملتزم الاعشار وانفار الجاندرمة وان يقنع صاحب دينهِ فلا ينقضي زمن البيادر الاَّ وبيتهُ افرغ من فؤاد ام موسى خالياً خاوياً

ولكن للضيق ازماناً والحاجة تدفع المرء الى سبيل الخلاص من اشراكها . رأى سكان بلاد بشارة ان في المهاجرة الى الديار الاميركية فرجاً وغنى فهاجروا زرافات ووحداناً فكان يرجع الكثير منهم بالقليل من الكسب ولكنهُ كثير بكثرتهم فارتاشت البلاد ثم تصاعدت اسعار الحبوب فكان للزارع من ذلك الراحة والفرح واسترد بعض الزراع اراضيهم من ملاَّكها باثمان عالية مضاعفة

حسنت حال ارباب الزراعة اجمالاً رغماً عن الجهل الفاضح بادارة الفلاح اعمالهُ على الاصول الجديدة وان المحراث الذي استعمل منذ الفي سنة لا يزال بعينهِ محراث فلاحنا اليوم لم يسرِ عندنا في سنَّة الارتقاء

لما رأى الزراع ان اعمالهم تعود عليهم بالثمرة زادت الرغبة في توسيع دائرة ارضهم لاسيما بعد ارتفاع اثمانها فعمدوا الى الحراج فاكتسحوها حتى جعلوها ارضاً صالحة للزراعة وتعلق الفلاح بسفوح الجبال ومنعطفات الاودية يضيق على الماشية مسارحها باذلاً اقصى جهدهِ

في استنبات الغلات ليأخذ منها جزاء عمله و يستدر منها اخلاف رزقه ولولا الاعشار وعسف ملتزميها وضجر الاهالي من استبداد الملتزمين وطمعهم العظيم ومساعدة الحكومة لهم في اعمالهم فضلاً عن مطامع مأموري الحكومة في الزمن الغابر — لولا ذلك — لكان للسعة في الرزق والنعمة والثراء عند فلاحي هذه البلاد قدم ثابتة

اما التجارة في هذه البلاد فقد نالت قسطها من النعمة والارتقاء حيث قام بها وفرة الحاجيات لدى ابناء البلاد واخذهم باسباب الرفاهية فكثرت حاجاتهم وكثر المتاجرون بها. وما زال منذ قرون تقام في نواحي جبل عامل اسواق اسبوعية يجتمع اليها الاهلون بمتاعهم يبيعون و يشترون ما يريدون وقد استغرقت هذه الاسواق اكثر ايام الاسبوع فلا يمر يوم الأ ولهُ في احدى جهات جبل عامل معرض زراعي تجاري صغير واكثر هذه الاسواق اجتماعاً واعظمها تجارة السوق التي تقام في النبطية يومي الاحد والاثنين من كل اسبوع وبها اصبحت هذه البلدة نقطة التجارة في جبل عامل ويقدَّر ما يباع فيها سنويًّا بما يزيد على مئة الف ليرة من حبوب واقمشة وحيوانات وغير ذلك

النبطية احمد رضا

كتاب عُمَر والقضاء

كتب الدكتور مرغوليوث استاذ العربية في مدرسة اكسفرد مقالة في مجلة الجمعية الاسيوية الملكية ببلاد الانكليز ذكر فيها الكتاب المشهور الذي يقال ان الامام عمر ابن الخطاب كتب به الى ابي موسى الاشعري حينما ولاهُ الكوفة . وذكر خمس روايات مختلفة من رواياته نشر احداها وهي رواية ابن قتيبة في كتابه عيون الاخبار وعلّق عليها حواشي يستدلُّ منها على روايات الجاحظ في كتابه البيان والتبيين والمبرّد في كتابه الكامل والماوردي في كتابه الاحكام السلطانية وابن خلدون في مقدمته . وترجم الكتاب الى الانكليزية وعلق عليه شرحاً مسهباً . وقد رأينا ان ننقل ثلاثاً من هذه الروايات وهي رواية الجاحظ اقدمها ورواية ابن قتيبة وهي تتلوها في القدم ورواية ابن خلدون وهي احدثها ونشفعها بما يبدو لنا في هذا الشأن . وقد طبعنا الروايات الثلاث متقابلة ليظهر ما بينها من الاتفاق والاختلاف لفظاً ومعنىً وقدَّمنا على كل فقرة منها رقماً لتسهيل المقابلة

رواية الجاحظ وهو ابو عثمان عمرو بن بحر الكناني البصري المتوفَّى بالبصرة سنة ٢٥٥ صاحب كتاب الحيوان المشهور	رواية ابن قتيبة وهو ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفّى سنة ٢٧٦ صاحب كتاب طبقات الشعراء المشهور وكتاب عيون الاخبار	رواية ابن خلدون الاشبيلي المغربي المتوفَّى سنة ٨٠٥ صاحب التاريخ الكبير المعروف بكتاب العبر والمقدمة الفلسفية المشهورة
(١) رسالة عمر رضي الله تعالى عنهُ الى ابي موسى الاشعري رضي الله تعالى عنهُ رواها ابن عيينة وابو بكر الهذلي ومسلمة بن محارب رووها عن قتادة ورواها ابو يوسف يعقوب بن ابرهيم عن عبيد الله ابن حميد الهذلي عن ابي المليح ابن اسامة ان ابن الخطاب رضي الله تعالى عنهُ كتب الى ابي موسى الاشعري	(١) كتب عمر بن الخطاب الى ابي موسى الاشعري كتاباً فيهِ	(١) وكتب (عمر الى ابي موسى الاشعري) الكتاب المشهور الذي تدور عليهِ احكام القضاة وهي مستوفاة فيهِ يقول
(٢) بسم الله الرحمن الرحيم	(٢) بسم الله الرحمن الرحيم من عبدالله عمر امير المؤمنين الى عبدالله بن قيس سلام عليك	(٢) . . . . .
(٣) اما بعد فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم اذا ادلي اليك فانهُ لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ لهُ	(٣) اما بعد : فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم اذا أُدلي اليك فانهُ لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ لهُ	(٣) اما بعد فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم اذا أُدلي اليك فانهُ لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ لهُ
(٤) آسِ بين الناس في مجلسك ووجهك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا يخاف	(٤) آسِ بين الناس في مجلسك ووجهك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا ييأس	(٤) وآس بين الناس في وجهك ومجالسك وعدلك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا

ضعيف من جورك	ضعيف من عدلك	يبأس ضعيف من عدلك
(٥) والبينة على من ادَّعى واليمين على من انكر والصلح جائز بين المسلمين الاَّ صلحاً حرَّم حلالاً او احلَّ حراماً	(٥) البينة على من ادَّعى واليمين على من انكر والصلح جائز بين الناس الاَّ صلحاً احلَّ حراماً او حرَّم حلالاً	(٥) البينة على من ادعى واليمين على من انكر والصلح جائز بين المسلمين الاَّ صلحاً احل حراماً او حرَّم حلالاً
(٦) ولا يمنعك قضاءٌ قضيتهُ بالامس راجعت فيهِ نفسك وهُديت فيهِ لرشدك ان ترجع عنهُ فان الحق قديم ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل	(٦) ولا يمنعك قضاءٌ قضيتهُ بالامس فراجعت نفسك وهديت فيهِ لرشدك ان ترجع الى الحق فان الحق لا يبطلهُ شيءٌ واعلم ان مراجعة الحق خير من التمادي في الباطل	(٦) ولا يمنعك قضاءٌ قضيتهُ امس فراجعت اليوم فيهِ عقلك وهديت فيهِ لرشدك ان ترجع الى الحق فان الحق قديم ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل
(٧) الفهم الفهم عند ما يتلجلج في صدرك مما لم يبلغك في كتاب الله ولا سنة النبي صلى الله تعالى عليهِ وسلم	(٧) الفهم الفهم فيما يتلجلج في صدرك مما ليس فيهِ قرآن ولا سنة	(٧) الفهم الفهم فيما يتلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة
(٨) اعرف الامثال والاشباه وقس الامور عند ذلك ثم اعمد الى احبها الى الله واشبهها بالحق فيما ترى	(٨) واعرف الاشباه والامثال ثم قس الامور بعد ذلك ثم اعمد لاحبها الى الله واشبهها بالحق فيما ترى	(٨) ثم اعرف الامثال والاشباه وقس الامور بنظائرها
(٩) واجعل للمدعي حقًّا غائباً او بينة امداً ينتهي اليهِ فان احضر بينتهُ اخذت لهُ بحقهِ والاَّ وجهت عليهِ القضاء فان ذلك انفى للشك واجلى للعمى وابلغ في العذر	(٩) اجعل لمن ادَّعى حقًّا غائباً امداً ينتهي اليهِ فان احضر بينةً اخذ بحقهِ والاَّ استحللت عليهِ القضاء	(٩) واجعل لمن ادعى حقًّا غائباً او بينة امداً ينتهي اليهِ فان احضر بينتهُ اخذت لهُ بحقهِ والاَّ استحللت القضاء عليهِ فان ذلك انفى للشك واجلى للعمى
(١٠) المسلمون عدول بعضهم على بعض الاَّ مجلوداً في حدٍّ	(١٠) والمسلمون عدول في الشهادة الاَّ مجلوداً في حدٍّ	(١٠) المسلمون عدولٌ بعضهم على بعض الاَّ مجلوداً في حدٍّ

او مجرّباً عليهِ شهادة زور او ظنيناً في ولاء او قرابة فان الله قد تولى منكم السرائر ودرأ عنكم بالشبهات

(١١) ثم إياك القلق والضجر والتأذي بالناس والتنكر للخصوم في مواطن الحق التي يوجب الله بها الاجر ويحسن بها الذخر

(١٢) فانهُ من يخلص نيتهُ فيما بينهُ وبين الله تبارك وتعالى ولو على نفسهِ يكفهِ الله ما بينهُ وبين الناس ومن تزين للناس بما يعلم الله خلافهُ منهُ هتك الله سترهُ وابدى فعلهُ والسلام عليك

او مجرّباً عليهِ شهادة زور او ظنيناً في ولاء او قرابة ان الله تولى منكم السرائر ودرأ عنكم بالبينات

(١١) وإياك والقلق والضجر والتأذّي بالخصوم في مواطن الحق التي يوجب الله بها الاجر ويحسن الذخر

(١٢) فانهُ من صلحت سريرتهُ فيما بينهُ وبين الله اصلح الله ما بينهُ وبين الناس ومن تزين للدنيا بغير ما يعلم الله منهُ شأنه الله والسلام

او مجرى عليهِ شهادة زور او ظنيناً في نسب او ولاء فان الله سبحانهُ عفا عن الايمان ودرأ بالبينات

(١١) وإياك والقلق والضجر والتأفف بالخصوم فان استقرار الحق في مواطن الحق يعظم الله بهِ الاجر ويحسن بهِ الذكر والسلام

اول شيءٍ نبه الاستاذ مرغوليوث عليهِ اسناد الجاحظ روايتهُ الى جماعة منهم قتادة البصري الذي ولد سنة ٦٠ للهجرة اي بعد وفاة الامام عمر بنحو عشرين سنة وتوفي سنة ١١٧ وقال ان دارسي تاريخ الاسلام لا يُستغرَب لديهم تفضيل ما اسنادهُ شفاهي على ما اسنادهُ كتابي . ولا ندري كيف يفضل احد رواية منقولة بالسماع على رواية مكتوبة في القرطاس فان الاذن تخطئ والذاكرة تنسى وقلما يسمع احد خبراً ويفهمهُ كما اراد المخبر تماماً وقلما يرويهِ كما سمعهُ . ولقد جرّبنا ذلك مراراً في اناس مختلفين فكنا نتلو على الواحد منهم فقرة او خبراً وبعد ساعة او اقل نطالبهُ بما تلوناهُ عليهِ او رويناهُ لهُ فلم نجد واحداً منهم يروي ما سمع كما سمعهُ لفظاً ومعنًى فما قولك باقوال واخبار تمرُّ عليها العقود من السنين وهي تنقل بالسماع قبل ان تدوَّن في بطون الاوراق فان الناس مهما قويت ذاكرتهم واعتادوا الحفظ لا يسلمون من ابدال كلمة باخرى ومعنى بآخر ونسيان بعض المعاني وزيادة بعض الالفاظ ولو عن غير قصد وتعمُّد الاَّ الشعر فانهُ قد يحفظ ويروى على اصلهِ لارتباطهِ بالوزن والقافية

ثم ان الجاحظ ذكر الكتاب باسم رسالة وهي تحتمل ان تكون كتاباً مكتتباً او رسالة منقولة بالشفاه . ولكن الاحتمال الاول اقرب الى المعقول اذا كانت امراً يجب العمل به لانك لو تلوتها امام رسول لما امنت ان ينقلها عن لسانك بلا تغيير ولا تبديل لاسيما وانها كلام مرسل لا شيء فيه يساعد على ترسيخه في الذهن واقل تحريف فيه قد يعوّج القضاء . فان كان الامام عُمَر قد بعث بها حقيقةً الى ابي موسى الاشعري فيبعد عن الاحتمال ان يكون قد بعث بها اليه شفاها بل يرجح انهُ بعث بها كتابةً . والظاهر ان ابن قتيبة الذي كان معاصراً للجاحظ كان يعتقد ان الامام عمر كتبها كتابة وكذا ابن خلدون وان كان الامر كذلك فعلى مَ اهتمَّ الجاحظ باسنادها الى فلان وفلان من الرواة وقد كان حقهُ ان يقول ان فلاناً ذكرها في كتابه الفلاني وفلاناً في كتابه الآخر فلا داعي لرواية زيد وعمرو

والامر الثاني الذي يخطر على بال من يقرأ الروايات المتقدمة هو اختلافها في اماكن كثيرة نعم ان اكثر الاختلاف غير جوهري ولكن لو كان الكتاب مكتتباً من زمن الامام عمر لبعُد عن الاحتمال وقوع هذا الاختلاف فيه لان الناسخ قد يغلط في حرف او كلمة ولكنهُ لا يزيد فقرة كاملة ولا يغير تغييراً كبيراً كما ترى في بعض الفقرات

وواضح من ذلك ان الاختلاف في هذه الروايات يدل على انهُ لم يكن للكتاب اصل واحد مكتتب ثم وقع فيه تحريف في النسخ ولذلك يرجح انهُ وصايا شفاهية كانت تنقل بالسماع وتنسب الى الامام عمر ثم دونها اناس مختلفون على صور مختلفة ولكنها متقاربة لفظاً ومعنى

وقد نبه الاستاذ مرغوليوث الافكار الى استعمال كلمة القضاء بمعنى الفصل بين الخصوم وقال ان هذه الكلمة لم ترد بهذا المعنى في القرآن ولا هي كذلك في الارامية ولا في الحبشية ولعلها من الاوضاع الاسلامية والكلمة الواردة في القرآن بمعنى القاضي هي كلمة حكم واما كلمة قاضٍ فلها فيه معنىً آخر

ثم ان كلمة قاضٍ وردت في الحديث مراراً بمعنى الحكم اي بالمعنى الذي تستعمل فيه كلمة قاضٍ الآن فهل كان عند الفرس او عند القبط او عند الروم منصب للقضاء يطلق على صاحبه لفظ شبيه بلفظ القاضي فاقتبسهُ العرب او هل كلمة قاضٍ من كلمة كريتس اليونانية . اوَ لم يكن في بلاد العرب قضاة من قبَل الروم يسمون باسمهم اليوناني اوَ لم يجد العرب في كل بلاد الروم التي فتحوها قضاة يسمون باسمهم اليوناني فاقتبسوهُ محرَّفاً وتصرفوا فيه حتى صار مثل الكلمة العربية ان لم تكن الكلمة العربية واليونانية من اصل واحد . هذه مسائل تخطر لنا وقد يجلوها البحث في المخطوطات العربية القديمة التي من القرن الاول والثاني

ثم التفت الاستاذ مرغوليوث الى قوله سنةً متبعة فقال هل المراد بذلك الاحاديث النبوية او سنن العرب قبل الاسلام التي اشير اليها في التحكيم بين الامام علي ومعاوية « بالسنَّة العادلة الجامعة غير المفرقة » على ما في الطبري . وقد جاء في ابن الاثير في هذا الصدد ما نصهُ «ان كتاب الله بيننا من فاتحتهِ الى خاتمتهِ نحيي ما احيا ونميت ما امات فما وجد الحكمان في كتاب الله وهما ابو موسى عبدالله بن قيس وعمرو بن العاص عملا بهِ وما لم يجداهُ في كتاب الله فالسنة العادلة الجامعة غير المفرقة . » ومعلوم ان الاحاديث النبوية لم تكن قد جمعت حينئذٍ لان السنة كانت سنة ٣٧ للهجرة فالاوجه ان تكون الاشارة الى سنن العرب

وكتاب الامام عمر هذا من ابلغ الكتب واجمعها لاحكام القضاة سواء ثبتت نسبتهُ اليهِ او لم تثبت وسواء كان في اصلهِ وصايا شفاهية او رسالة مكتتبة

حرب القرم

اسبابها ونتائجها

(١)

اذا كلَّ عضب الدماغ من الشغل العقلي ولم يجد المرء الى البطالة سبيلاً فلا افضل من كتاب تاريخي يتسلَّى بهِ . هذا كان شأننا امس والكتاب تاريخ روسيا للمسيو لوندر وكيل نظارة الخارجية الفرنسوية والفصل حرب القرم

التاريخ مسهب مفصَّل لكن القارئ لا يملّ ولاسيما اذا كان مثلنا يبحث عن الاسباب والنتائج — عن الاغراض التي يتوخاها الملوك ورجال السياسة من وراء الحروب والمجازر وعما يترتب على اعمالهم من صلاح وفساد . الاسباب والنتائج — لاي علة تجود مملكة مثل فرنسا بثمانين الفًا من نخبة رجالها وقوادها وابطالها وبمئة مليون من الجنيهات . لاي غرض تجود انكلترا بعشرين الفًا من زهرة ابنائها وخيرة اعيانها وخمسين مليونًا من الجنيهات . ان قيل ان روسيا ضحَّت مئة الف من جنودها وتركيا مئة الف اخرى فالاولى كانت جارية على مشيئة رجل واحد تصوَّر امراً فسعى اليهِ والثانية كانت مدفوعة الى حفظ كيانها والذود عن حوضها ولكن ما فائدة فرنسا وانكلترا وسردينيا . نترك التعليل الى بعد سرد الحوادث وهي فصل لا يمحى من تاريخ الانسان وان كانت الامم لم تستفد منهُ حتى الآن فيكون لكلل في ادمغتها افقدها الشعور اومنعها عن اكتشاف العلل في المعلولات والاسباب في النتائج

استعزّت دولة الروس في زمن بطرس الكبير وكاترينا وحنة واسكندر الاول وصار لها شأن عظيم وكلمة نافذة في بلاد آل عثمان وورث الامبراطور نقولا الاول هذا المجد وهذا السلطان وزادهُ شأناً في السني الاولى من ملكهِ ولم يكن اسهل عليهِ من الاحتفاظ بما ورثهُ وبما زادهُ فيهِ لو سار بالتأني والتؤدة الى آخر ايامهِ واغتنم الفرص السوانح لكنهُ كان لجوجاً واللجاجة عاقبتها الندامة وكأَنَّ فوزهُ في سياستهِ الادبية في بولونيا والنمسا اسكرهُ فاستسهل كل صعب

خطر لهُ ان البلاد العثمانية على شفا جرف هارٍ وان يوم انحلالها قد دنا وخاف ان تختصم دول اوربا على اقتسام اسلابها او تمنعهُ من اخذ السهم الاكبر من الغنيمة فحدثتهُ نفسهُ ان يأخذ الاهبة لذلك بالاتفاق مع انكلترا . وهمٌ فاسد ولكنهُ تمكَّن منهُ ورأي فائل ولكنهُ استهواهُ حتى لم يتمالك ان فاتح بهِ سفير انكلترا في بطرس برج . التقى بالسفير السر جورج هملتون سيمور في ليلة حافلة احيتها الاميرة هيلانة وتكلَّم معهُ عن الوزارة الانكليزية الجديدة وكلَّفهُ ان يبلغها تهنآتهِ الخالصة ولاسيما لورد ابردين الذي كان يعرفهُ منذ نحو اربعين سنة . ثم قال « انت تعلم مودتي لانكلترا . ولا بدَّ لها ولي ان نكون على تمام الوئام . ولم تكن الحال ادعى الى اتفاقنا منها الآن . ابلغْ ذلك لورد جون رسل فاننا اذا اتفقنا لا اعود اعنى بغربي اوربا ولا اهتم بما يقولهُ الناس . واما تركيا فلها شأن آخر لان حالتها لا تدعو الى الاطمئنان وقد تكون سبباً للمشاكل »

قال ذلك وقطع الحديث بغتةً وهمَّ بالمسير . الاَّ ان السفير رأى الموضوع هاماً وخاف ان لا تحين لهُ فرصة اخرى للوقوف على آراء القيصر فيهِ فتوسل اليهِ ان يزيل ما خامر نفسهُ من الريب عن تركيا . فتوقَّف القيصر في اول الامر كأَنهُ لم يشأ ان ينتقل من التعميم الى التخصيص ثم بدا لهُ ما غيَّر رأيهُ بغتةً وقال « لدينا الآن رجل مريض مدنف فاذا قضى نحبهُ قبل ان نأخذ الاهبة فقد نقع في مشاكل كبيرة ولكن هذا الوقت لا يصلح للبحث في هذا الموضوع »

وبعد خمسة ايام قال وزير روسيا الكونت نسلرود للسفير ان القيصر يرغب في مقابلتهِ . فمضى السفير الى القصر حالاً فوجد القيصر وحدهُ في انتظارهِ ولما استقرَّ بهِ الجلوس قال لهُ القيصر « انك تعلم اماني الامبراطورة كاترينا التي كانت تمني نفسها بها . اما انا فقد ورثت من اسلافي ملكاً واسعاً ولكنني لم ارث معهُ تلك الاماني وان شئت فقل تلك المقاصد لان مملكتي واسعة جداً وانا حاصل من فضل المولى على كل ما ابتغي فلا اطمع بسعة في الملك ولا

ببسطة في العيش ولا بزيادة في القوة بل ان الخطر الاعظم او الخطر الوحيد الذي نخشاهُ هو اتساع ملكنا فوق ما يلزم . وتركيا على تخومنا ولا شيءَ اصلح لنا من ذلك وقد مضى الوقت الذي كنا نخشى فيهِ منها وهي لا تزال قادرة ان تحفظ استقلالها واحترام الدول لها

« وفي السلطنة العثمانية ملايين كثيرة من المسيحيين الذين يهمني امرهم . والمعاهدات تخولني حمايتهم وانا غير مفرط في استعمال هذا الحق بل اني على غاية الاعتدال فيهِ ولا اخفي عليك اني لا اراهُ سهلاً ولكنني لا استطيع ان اتغاضى عنهُ واهملهُ فان الديانة التي ندين بها جاءتنا من الشرق وهناك عواطف ومطالب لا يمكن الاغضاء عنها

« ولكن السلطنة العثمانية قد انحطت كثيراً حتى مهما حاولنا ان نطيل حياتها — وارجو ان تصدقني اني اودُّ البقاء لها كما تودونهُ انتم — قد تقضي اجلها فجأةً وحينئذٍ يقضى الامر افلا يليق بنا ان نستعد لذلك لئلاَّ نفاجأ بهِ مفاجأة ونخوض غمار حرب اوربية . هذا هو الامر الذي اود ان تحوّل التفات دولتك اليهِ »

فاجابهُ السفير ان الدولة العثمانية وقعت في ازم اشد من ازمتها الحاضرة ثم نجت منها وان انكلترا لا تودُّ ان تشترك في تدابير مثل هذه بل يقبح بالمرء ان يفكر في قسمة تركة صديقهِ وصديقهُ في قيد الحياة

فقال القيصر « ان المبدأ شريف لذاتهِ ولاسيما في اوقات لا يعلم ما تؤدي اليهِ مثل الاوقات الحاضرة ولكن يهمنا جدًّا ان يقف كل واحد منا على فكر غيرهِ ولا نؤخذ على غرة والآن اخاطبك كصديق وكرجل نبيل واقول لك انني اذا اتفقت انا وانكلترا فلا يهمني بعد ذلك ما يقولهُ الناس ويتقوّلونهُ ولذلك اقول لك صريحًا انهُ اذا شاءت انكلترا يوماً ما ان تأخذ القسطنطينية فاني اصدها عن ذلك ولا اقول انكم قاصدون هذا ولكن يجب على الانسان ان يجاهر برأيهِ وانا اتعهد باني غير قاصد امتلاك القسطنطينية ولكنني قد احتلها كحارس لها واذا لم تؤخذ الاهبة من الآن وتركت الامور للتقادير فقد اضطر الى احتلالها اضطراراً »

وهذه الاقوال التي صرّح بها القيصر على غرابتها كانت معروفة لدى الدولة الانكليزية فانهُ لما زار انكلترا سنة ١٨٤٤ ذاكر دوق ولنتون ولورد ابردين والسر روبرت بيل في المسألة الشرقية وأُدمجت آراؤُهُ في مذكرة كتبها وزيرهُ الكونت نسلرود وارسلها الى لندن فوضعت بين السجلات السرية في نظارة الخارجية

فلما أرسل السر هملتون سيمور سفير انكلترا الى حكومتهِ ما سمعهُ منهُ في هذه المقابلة

كتب لورد جون رسل اليهِ يهنئ القيصر على مجاهرتهِ بآرائهِ واعتدالهِ فيها واظهارهِ الصداقة لانكلترا ولكنهُ قال ان الاتفاق على اقتسام السلطنة العثمانية يسرع انحلالها. وخير سياسة يتبعها القيصر هي السياسة التي تبعها حتى الآن والتي ستجعل اسمهُ امجد من اسم اعظم الملوك الذين طلبوا تخليد الذكر الحسن بحروب لا داعي لها والسعي وراء مجد زائل . ثم نصح للقيصر ان يعامل الحكومة العثمانية باللين والتؤدة ويذاكرها حبيًّا لازالة ما يقع من الخلاف بينهُ وبينها

وظهر مما كتبهُ لورد رسل ان حكومة القيصر وحكومة الانكليز كانتا على طرفي نقيض من جهة الدولة العثمانية لان الحكومة الانكليزية لم ترد ان تشترك مع روسيا في محالفة ما ولا كانت تعتقد ان الدولة العثمانية في خطر مبين

وابلغ السفير جواب لورد رسل للكونت نسلرود وقال لهُ انهُ عازم على ان يرسل صورة منهُ الى القيصر . والتقى بهِ القيصر في المساء وقال لهُ بلغني انهُ وصلك جواب حكومتك وانك عازم ان تأتيني بهِ غداً فقال السفير نعم يا مولاي ولكن الجواب مثل ما لمَّحت لجلالتكم في كلامي معكم. فقال القيصر هذا الذي بلغني ولكن يظهر لي ان حكومتكم لم تفهم مرادي فانهُ لا يهمني ان اعلم ما يجب فعلهُ حينما يقضى الامر بل يهمني ان اتفق مع انكلترا على ما يجب منعهُ

وفي اليوم التالي جاء السفير برسالة لورد رسل وقرأها للقيصر فاظهر القيصر اسفهُ لان الحكومة الانكليزية لم تجبهُ صراحةً عن السؤَال الذي سألهُ وهو ما يجب تلافيهِ اذا حدث ما حدث . فقال لهُ السفير حبذا لو اخبرتمونا جلالتكم بما يجب تلافيهِ حينئذٍ . فتردَّد القيصر في الجواب ثم قال « ان هناك اموراً كثيرة لا اسلّم بها اما من جهتنا فاني لا اريد ان يكون احتلالنا للاستانة دائماً ولا اريد ان تحتلها انكلترا ولا فرنسا ولا دولة اخرى من الدول الكبرى ولا اسلّم باعادة الدولة البزنطية ولا بتقوية اليونان حتى تصير دولة قوية ولا بتقسيم تركيا الى جمهوريات صغيرة تكون ملجأً لاناس مثل كوسوث ومازيني ونحوهما من الثوَّار واني افضل ان اخوض غمار الحرب على ان يحدث شيء من ذلك »

اما السفير فعاد الى مثل كلامهِ الاول وهو ان مساعدة تركيا على اصلاحها خير من البحث في ما يجب عمله لو سقطت . وعاد القيصر الى الكلام فقال ان فرنسا قاصدة تونس وانهُ هو وعد السلطان ان ينصرهُ عليها ان تهدَّدتهُ . فقال لهُ السفير يظهر ان جلالتكم نسيتم النمسا فلم تشيروا اليها بكلمة مع ان المسائل الشرقية تهمها جدًّا وهي تنتظر طبعاً ان تُستشار فيها . فقال لهُ القيصر ليكن معلوماً لك اني حينما اتكلم عن روسيا اتكلم عن النمسا ايضاً لان مصلحتهما واحدة

وعاد الى الكلام على تقسيم الممالك العثمانية فقال « ان امارات الدانيوب حكومات مستقلَّة فعلاً وستقتفي السرب والبلغار خطواتها . اما مصر فانا اعلم اهميتها لانكلترا فحينما نقتسم الممالك العثمانية تكون مصر لكم فلا اعارضكم فيها ولكم ان تأخذوا كريت ايضاً فانها قد تكون لازمة لكم ولا ارى ما يمنع امتلاككم اياها »

فقال لهُ السفير « ان كل ما نريده من مصر لا يتعدَّى ان يكون طريق الاتصال بيننا وبين الهند اميناً » . لكن القيصر لم يكتف بذلك بل طلب منهُ ان يجعل حكومتهُ تكتب لهُ في هذه المسألة بالتفصيل التام قائلاً اني لا اطلب معاهدة ولا ضماناً بل كلاماً بسيطاً مبادلة افكار

ثم كتب وزير روسيا مذكرةً في هذا الموضوع احترس فيها تمام الاحتراس وقال ان كلام القيصر مع السفير ليس لهُ صفة رسمية بل هو مجرَّد آراء ابداها شفاهاً

وفي تلك الاثناء جعل لورد كلارندن وزيراً للخارجية بدل لورد جون رسل فكتب الى سفير حكومتهِ في بطرس برج مؤيداً ما قالهُ للقيصر من ان الحكومة الانكليزية لا ترى موجباً للقلق على سلامة تركيا وانها مسرورة لان القيصر يحسب ان سلامة تركيا تهمهُ اكثر مما تهمُّ انكلترا ولذلك فعلى سياستهِ مع تركيا يتوقف منع ما تود كل دولة من دول اوربا منعهُ . ولا شيءَ يدعو الى حدوث ما يراد منعهُ مثل التكهن المستمر بقرب حدوثهِ . ولا شيءَ يضر بسلامة تركيا مثل الاعتقاد بانها قريبة الانحلال فاذا ذاع وشاع اعتقاد القيصر بان ايام تركيا صارت معدودة فذلك مما يعجل انحلالها . الى ان قال ان انكلترا لا تسلم بان تحتل القسطنطينية دولة من الدول الكبيرة وعندها ان اعادة الامبراطورية البيزنطية ضرب من المحال . وسوءُ الادارة في بلاد اليونان يمنع توسيع املاكها وانكلترا لا ترغب في توسيع املاكها ولا تشترك مع احد في ذلك . ولا تشترك ايضاً في اتفاق يراد كتمانهُ عن بقية الدول مهما كان

وقد كتب لورد كلارندن مذكرتهُ هذه وارسلها قبلما وصلت اليهِ مذكرة وزير روسيا فلما وصلت اليهِ وجد انهُ قد اجاب عن كل ما فيها في مذكرتهِ التي ارسلها فلم يرَ موجباً لارسال مذكرة أُخرى . وكان وزير روسيا يودُّ ايضاً اقفال هذا الباب فقال للسفير ان هذه الامور دقيقة جدًّا والبحث فيها صعب دائماً . ثم اجاب بمذكرة وافق فيها على كل ما ذكرتهُ انكلترا وزاد عليها انهُ يجب معاملة الدولة العلية بالاحترام التام حينما تنبَّه الى ما يصيب المسيحيين من الاضطهاد في بلادها

ولم يمضِ على هذه الرسالة ثلاثة ايام حتى شكا القيصر الى السفير من امور حدثت في القدس

وقال ان الدولة العثمانية اهانته وانها ان لم ترجع الى صوابها من نفسها فهو يعرف كيف يرجعها اليهِ

وحدث بعد ذلك ان اللورد جون رسل خطب في مجلس النواب وذكر شيئاً اغاظ روسيا فنشرت جريدة بطرس برج مقالة اشارت فيها الى المخابرات السابقة بين روسيا وانكلترا ولامت انكلترا لانها لا تثق بروسيا بعد كل ما ابدتهُ لها روسيا من ادلة الاخلاص فنشرت نظارة الخارجية الانكليزية المخابرات التي دارت بين الحكومتين فدهش الناس من ذلك

(٢)

لما رأى القيصر ان انكلترا ليست من رأيهِ عدل الى امر آخر وهو استمالة الدولة العلية او ارهابها بالابَّهة فعيَّن سفيراً لهُ في الاستانة اميراً من كبار امراء الروس وهو البرنس منشيكوف الذي كان وزيراً للبحرية وحاكماً لفنلندا فجاء القسطنطينية بابهة عظيمة واستعرض في طريقهِ الجيوش الروسية قرب اودسا والعمارة البحرية في سفستوبول وكان دخولهُ الاستانة كدخول قائد عظيم لا كدخول سفير سياسي. كان في حاشيتهِ القيس اميرال كونبلوف والبرنس غالتسوين والكونت ديمتري نسلرود وغيرهم من ياوران القيصر وقواد جيشهِ

والقواعد الرسمية تقضي بان السفير يزور اولاً الصدر الاعظم ووزير الخارجية. فزار البرنس منشيكوف الباب العالي حسب الاصول ولكنهُ جاءهُ باللباس العادي لا باللباس الرسمي فعدَّ ذلك منهُ اهانةً للباب العالي. ولم يكتفِ بذلك بل اقتصر على زيارة الصدر الاعظم ولم يزر وزير الخارجية مع ان وزير الخارجية ورجالهُ كانوا في انتظارهِ هناك فاستغرب الجميع هذا الفعل غاية الاستغراب ولم يعرفوا كيف يؤَوّلونهُ. وفي اليوم التالي كتب الى الصدر الاعظم يقول انهُ لم يقصد اهانة الحكومة العثمانية ولكنهُ كان يستحيل عليهِ ان يحترم وزيراً غير صادق

ولو حدث هذا الامر في زمن السلطان محمود لزجَّ السفير في سجن الابراج السبعة وشهر الحرب على روسيا ولكن الحال كانت قد تغيرت حينئذٍ فما كان من وزير الخارجية الاَّ انهُ استعفى من منصبهِ وخلفهُ رفعت باشا فلم يكتفِ السفير بذلك. واتفق ان سفير انكلترا وسفير فرنسا كانا غائبين فذهب الصدر الاعظم الى السفارتين واستشار وكيليهما وانذرهما بالخطر الذي يتهدَّد الدولة العلية لان العمارة الروسية كانت قرب قرن الذهب وطلب منهما ان يستدعيا العمارة الانكليزية والعمارة الفرنسوية ولو الى ازمير. فكتب وكيل انكلترا الى حكومتهِ ان الجيوش الروسية صارت على تخوم تركيا وان روسيا آخذة في التأهب للزحف على بلاد الدولة

العلية . ثم ارسل الى امير العمارة الانكليزية ليأتي بها من مياه مالطة الى الارخبيل الرومي . وكتب وكيل السفارة الفرنسوية الى حكومتهِ كما كتب وكيل السفارة الانكليزية الى حكومتهِ ولكنهُ لم يجسر على استقدام العمارة الفرنسوية . وجرت الحكومة الانكليزية والحكومة الفرنسوية على ضد ما فعلهُ وكيلاهما فان انكلترا منعت عمارتها من مغادرة مالطة وفرنسا امرت عمارتها ان تذهب الى المياه العثمانية . واسرع السفيران الى الاستانة

وكتب وزير روسيا الى سفيرها في لندن ينفي الاشاعات التي شاعت في الاستانة عن مقاصد روسيا ويكرر ما اكدهُ القيصر لسفير انكلترا شفاهاً وكتابةً من انهُ لا ينوي لتركيا اقل شر ويقول لهُ ان يشكر لورد ابردين ولورد كلارندن عن لسان القيصر لانهما لم يصدقا هذه الاشاعات ولم يجريا مجرى فرنسا التي اعربت عن عدم ثقتها لانهُ لو فعلت انكلترا فعل فرنسا وارسلت اسطولها مثلها لتعذَّر حل المشاكل في الاستانة اما وقد توقف الاسطول الانكليزي عن المجيء الى المياه العثمانية فلم يعد لمجيء الاسطول الفرنسوي شأن كبير

ولقد كان سفير فرنسا يوجس خوفاً من دخول الجيوش الروسية الى امارات الدانيوب وسفير انكلترا لا يحول عن اعتقادهِ ان روسيا لا تنوي لتركيا شرًّا اما الدوائر التجارية والمالية في لندن فلم تكن تشارك الحكومة في ثقتها بل كانت تنتظر الحرب او تتمناها

واعتزل البرنس منشيكوف اسبوعين ثم طلب زيارة رفعت باشا وزير الخارجية مشترطاً عليهِ ان يكتم كل ما يخبرهُ بهِ . ووصل سفير انكلترا وسفير فرنسا حينئذٍ الى الاستانة واقبل الوزراء عليهما يشكون ضيمهم اليهما ولم يطلعوهما على كل ما جرى ولكن لم يصعب على سفيرين محنكين مثلهما ان يعرفا ما بدى وما اختفى . ورضي البرنس منشيكوف ان ينظر في بعض المسائل مع سفير فرنسا فحلاً في ثلاثة اسابيع مشكلاً من اصعب المشاكل التي عجز ساسة اوربا عن حلها وجاء الحل مرضياً لتركيا وروسياً وفرنسا وهو متعلق بالقدس الشريف . وظُنَّ حينئذٍ انهُ لم يبقَ مشكل آخر ولكن لم تمضِ ايام كثيرة حتى كتب البرنس منشيكوف الى الباب العالي يقول ان القيصر يودُّ ان يتناسى الماضي ولا يطلب الآ عزل وزير واحد لا يستحق الثقة والاسراع في انجاز الوعود ويطلب ايضاً الضمانات الكافية للمستقبل وان تكون رسمية قطعية مؤداها انهُ لا يحدث اقل اهانة للديانة التي يدين بها اكثر المسيحيين رعايا الباب العالي ورعايا روسيا والتي يدين بها القيصر نفسهُ . ولا يقبل الاَّ بان توضع هذه الضمانات في معاهدة او شبه معاهدة . ولما لم يُجب الى طلبهِ حالاً قدَّم طلباً آخر وجعلهُ بلاغاً اخيراً وقال انهُ اذا لم يجب الى طلبهِ بعد خمسة ايام عدَّ ذلك اهانة لدولتهِ فيضطر الى امور يأباها

ثم طلب مقابلة الصدر الاعظم فاستعدَّ الصدر لاستقباله بالاكرام الواجب اما هو فلم يذهب الى الباب العالي بل ذهب الى سراي چراغان الى السلطان نفسهِ فلم يستقبلهُ السلطان بل امرهُ ان يذهب و يقابل الوزراء ورأى الصدر الاعظم ووزير الخارجية ان سفير روسيا اهانهما بما فعل فاستقالا وعين رشيد باشا وزيراً للخارجية · فطلب منهُ البرنس منشيكوف ان يكتب لهُ وعداً بسيطاً لا معاهدة ولا ما يشبه المعاهدة ونصَّ لهُ صورة الوعد واذا هو تعهُّد رسمي يعود على الحكومة العثمانية باكبر ضرر · ولما ابى رشيد باشا ان يوقع لهُ ذلك الوعد كتب اليهِ ان العلاقات السياسية انقطعت بين تركيا وروسيا ثم ركب البحر ورجع من حيث اتى

ونشرت صورة البلاغ الاخير في بلاد الانكليز فهاجت لهُ الخواطر وقام المتاجرون بالحروب يثيرون رجال الحكومة فكتبت انكلترا الي سفيرها في الاستانة ان اسطول مالطة تحت امرهِ

وكتب الكونت نسلرود وزير روسيا الى رشيد باشا وزير الخارجية يقول لهُ ان الجنود الروسية ستؤمر بقطع التخوم لا لاجل الحرب بل للحصول على الضمانات الكافية التي مضي على روسيا سنتان وهي تطلبها ولم تنلها حتى الآن · وهذه الضمانات مذكورة في المذكرة التي سلمها البرنس منشيكوف لرشيد باشا فما عليهِ الآن يوقعها حالاً بعد مصادقة الحضرة السلطانية عليها و يرسلها الى البرنس منشيكوف في اودسا

ووصل خبر هذه الرسالة الى لندن في اليوم التالي بالتلغراف فأُرسلت الاوامر حالاً الى الاسطول الانكليزي في مالطة ليقوم و يشترك مع الاسطول الفرنسوي

ولم تكن روسيا تنتظر ان تتفق انكلترا وفرنسا عليها ولم تجد في النمسا و بروسيا ما كانت تنتظرهُ من الولاء لما جزاء تفضلها عليهما · فبعث الكونت نسلرود منشوراً الى سفراء روسيا نشرتهُ جريدة بطرس برج مؤداهُ ان كل ما طلبهُ البرنس منشيكوف انما هو ضمانات الحقوق التي نالتها روسيا في معاهدة كاينارجي ومعاهدة ادرنه وليس في ذلك شيءٌ جديد ولا شيءٌ خارج عن المعقول ولا شيءٌ مما لا تطلبهُ كل دولة اذا اصابها ما يضرها من دولة اخرى

وتوسط امبراطور النمسا في الامر فلم تجدِ وساطتهُ نفعاً وأُمرت الجنود الروسية باحتلال امارات الدانيوب ودخل البرنس كورتشاكوف بخارست · وارسل الكونت نسلرود حينئذٍ منشوراً يقول فيهِ ان روسيا اضطرَّت الى احتلال امارات الدانيوب على اثر مجيء الاسطول الانكليزي والاسطول الفرنسوي الى المياه العثمانية لموازنة القوة · وادنى القيصر سفير

فرنسا منهُ واقصى سفير انكلترا فسرَّ نبوليون بذلك وعزم على اصلاح ذات البين وكان رشيد باشا قد اجاب على لائحة روسيا فاخذ نبوليون اللائحتين ووفق بينهما وكتب لائحة جديدة ارسلها الى لندن فوافقت الحكومة الانكليزية عليها فارسلت الى سفير فرنسا في روسيا ليسلمها للقيصر . وأُرسلت نسخة منها الى امبراطور النمسا فوافق عليها ونسخة الى ملك بروسيا فوافق عليها ايضاً

وطلبت انكلترا من الباب العالي ان يعلن على رؤُوس الاشهاد ان رعاياهُ المسيحيين مساوون لسائر رعاياهُ في حقوقهم لكي لا تبقى حجة لروسيا . واجتمع مندوبو الدول الاربع انكلترا وفرنسا والنمسا وبروسيا في مؤْتمر عام في فينا وتذاكروا في لائحة نبوليون اي في التوفيق بين مطالب روسيا ومطالب تركيا واقروا عليها وعرضوها على القيصر فوافق عليها على شرط ان يوافق السلطان عليها ايضاً كما هي . ولما شاع ان القيصر وافق على قرار المؤْتمر هنأ الناس بعضهم بعضاً وراجت سوق التجارة وارتفعت الاسعار . وحسب نبوليون انهُ فاز فوزاً مبيناً

اما الحكومة العثمانية فلم تلهها هذه الظواهر بل والت الاستعداد للحرب وجمعت الرديف ولما عرضت اللائحة التي اقرها مؤْتمر الدول الاربع على الباب العالي رفضها اولاً ثم فحصها ثانية وقبلها ما عدا ثلاث فقرات منها وعلَّق عليها آراءهُ التي دعتهُ الى رفضها فاغتاظت دول اوربا من ذلك واسقط في يد رجال المؤتمر لانهم كانوا قد بذلوا اقصى جهدهم حتى يرضوا الدولتين تركيا وروسيا ويوفقوا بينهما ووزنوا كل كلمة وكل عبارة فجاء الاعتراض على قرارهم مغيظاً لهم وقالوا ان لا حق لرجال الدولة العثمانية في الاعتراض على شيء ولا محل لخوفهم وايجاسهم . وجعلت الدول الاربع تحاول اقناع الباب العالي ليسلم بقرار المؤْتمر وحاولت النمسا اقناع القيصر ليسلم ببعض التغييرات في القرار ارضاء لتركيا فلم تفلح . الاَّ ان سفير انكلترا في الاستانة لورد ستراتفرد ده ردكلف لم يحاول اقناع تركيا بقبول لائحة المؤْتمر فبقيت متشبثة برأيها . وبعث الكونت نسلرود وزير روسيا الى الدول الاربع يقول ان التغييرات التي تطلبها تركيا في اللائحة اما انها جوهرية فيجب رفضها او غير جوهرية فلماذا يعلق الباب العالي قبولهُ عليها . فافحم هذا الكلام الدول الاربع ثم ان الكونت نسلرود شرح التغييرات التي طلبها الباب العالي وبيَّن اهميتها وقال ان روسيا لا يمكنها ان تقبل بها مطلقاً وانها انما قبلت اللائحة الاولى لانها موافقة للمطالب التي طلبها البرنس منشيكوف تمام الموافقة

فمرَّت ثلاثة اشهر افرغ فيها رجال السياسة جعبة دهائهم على غير طائل . وانقلبت الوزارة حينئذٍ في انكلترا فجاء لورد بامرستون رجل الحرب بدل لورد ابردين رجل السلم واغتاظ

نبوليون من الفشل الذي اصابهُ لكنهُ لم يكن مستعدًّا للحرب وكانت النمسا اكثر استعداداً منهُ وحاولت هي وبروسيا ان تقنعا الباب العالي ليقبل البنود الاربعة التي رفضها اولاً واكَّدتا لهُ ان مقاصد روسيا سلمية كلها لكن انكلترا وفرنسا لم تشاركاها في ذلك كأنَّ يداً خفية كانت فيهما تدفعهما الى الحرب

وثارت الخواطر في الاستانة واجتمع السفطا امام الباب العالي وطلبوا من مجلس الوكلاء ان يسرع في اعلان الحرب على الروس . وجمع السلطان مجلس الوكلاء في ٢٤ سبتمبر في سراي چراغان فنظروا في لائحة الدول ورفضوها وامر ان يجتمع المجلس الاعلى في اليوم التالي في الباب العالي فاجتمع فيهِ ١٦٢ من نخبة رجال الدولة وبحثوا وتذاكروا طويلاً فاقرَّ ١٦٠ منهم على الحرب اما السلطان فتوقف ثلاثة ايام وفي التاسع والعشرين من سبتمبر سنة ١٨٥٣ صدرت ارادتهُ مصدقة على قرار المجلس الاعلى وارسلت الى القائد العام في الروملي وفي الثامن من اكتوبر طلب المشير عمر باشا من الجنرال كورتشاكوف ان يخرج من الاملاك العثمانية في خمسة عشر يوماً واستدعى السلطان العمارة الانكليزية والعمارة الفرنسوية من خليج بسيكا فعبرتا الدردنيل ومرتا امام الاستانة ورستا في البسفور الاَّ ان حرب القرم لم تبتدئ حينئذٍ بل تأخرت اياماً وسيأتي الكلام عليها وعلى نتائجها

مستقبل الزنوج

لما نشرنا ما لخصهُ حضرة سلامه افندي موسى من روايات ولس وعقَّبنا عليهِ ولاسيما على ما قالهُ عن منع تناسل الزنوج قلنا « ان هذه الامور لا يمكن الحكم فيها بمجرَّد الرأي والاقيسة العقلية بل لا بدَّ فيها من استقراء احوال الامم وتأثير هذا الامر او ذاك فيها » وقلنا قبل ذلك « كم من اسود يفوق البيض في آدابهِ واخلاقهِ حتى في الولايات المتحدة »

لما قلنا هذا القول وذاك كنا نرى بعين الخيال بعض السود الذين عرفناهم وهم من اهل العلم والفضل او الذين قرأنا عنهم وهم من نوابغ الرجال في كل عصر . فنجد في ليل السود المدلهم بارقة امل واشعة فجر تنبئُ ان شمس العمران قد تطلع على ربوعهم كما طلعت على غيرها . وقد قرأنا الآن مقالة لاكبر رحالة افريقي وهو السر هري جنستن الذي يعدُّ ثقةً في كل المسائل الافريقية فرأينا فيها ادلة كثيرة على تأييد ما ذكرناهُ قال

لا يمرُّ شهر الاَّ وتنشر مقالات كثيرة في مدح الزنوج او ذمهم وفي التهجُّم عليهم او

الدفاع عنهم في اميركا وانكلترا وفرنسا والمانيا وجنوبي افريقية وسيبيريا وبرازيل

وعدد الزنوج في افريقية واميركا نحو مئتي مليون ولكن البيض يهتمون بهم الآن اكثر مما يهتمون بالمغول سكان اسيا وهم خمس مئة مليون

وقد وُصف الزنجي بالكسل منذ ثلاثمائة سنة الى الآن والوصف باطل فقد اثبت احد الكتاب الفرنسويين بالاحصاء ان الصيني يعمل ١٥٠ يوماً في السنة لاغير والهندي ٢٢٠ يوماً واما الزنجي الافريقي فيعمل ٢٨٠ يوماً ولاسيما اذا كان عملهُ الفلاحة

وثبت الآن ان الزنجي اصلح من غيرهِ للجندية فاذا أُحسن تدريبهُ وأُحسنت قيادتهُ فلا اخضع منهُ ولا اشجع . وثبت في مدارس تسكجي وهمتن الصناعية ومدارس المرسلين التي من نوعها ان الزنوج يتعلمون كل الصنائع و يمهرون فيها كالبناء والتعدين والملاحة والخياطة وكل ما يقتضي دقة في الصناعة او قوَّة بدنية عظيمة

والزنوج يفلحون في الاعمال كلها اذا كانوا احراراً يعملون بها لانفسهم او مأجورين كالبيض اكثر مما يفلحون اذا كانوا عبيداً او مستخدمين كما يظهر من فلاح كل الاعمال بعد تحرير العبيد في اميركا وفي غيرها من البلدان التي كانت تعتمد في اعمالها على الرقيق

ومن مزايا الزنوج عموماً انهم يقلدون الامة التي تتصل بهم اذا كانت ارقى منهم تقليداً تامًّا . فاذا اتصل بهم العرب قلدوهم في المأكل والمشرب والملبس والعادات . واذا اتصل بهم الاوربيون قلدوهم في ذلك كلهِ ولا يكتفون الاَّ بالتقليد التام . ترى التونسي والمغربي والفارسي في بلاد الانكليز بجبتهِ وعمتهِ يسير الهوينا كأَنهُ يحتقر ملابس الاوربيين او يرى نفسهُ غير كفء للبسها مع انهُ مثل الاوربي في لونهِ وملامحهِ واذا لبس شيئاً من ملابسهم فالبنطلون يخفيهِ تحت الجبة ترفُّعاً او تهيُّباً . وترى هناك الزنجي من قلب افريقية بلونهِ الاسود وانفهِ الافطس وشعرهِ المفلفل وهو بالزي الاوربي على آخر زي (موده) والبرنيطة العالية . فهو من هذا القبيل كالياباني الذي لم يكتفِ بان اقتبس شيئاً وترك شيئاً بل قلد الاوربيين في كل شيء دفعةً واحدة اي انهُ اقتبس العمران الاوربي بكل تفاصيلهِ في العلوم والفنون والصنائع والملابس والمساكن والاسلحة وتنظيم الجيوش البرية والبحرية وبناء السفن الحربية والتجارية . فترى امبراطور اليابان ووزراءهُ وسفراءهُ وقوادهُ وجنودهُ وتجار بلادهِ كل هؤُلاء ونساؤُهم بالملابس الاوربية واسلحتهم مثل اسلحة الاوربيين ومعاملهم مثل معاملهم ومراكبهم مثل مراكبهم و بوارجهم مثل بوارجهم ولم يبقَ الاَّ ان يدينوا كلهم بدين الاوربيين فيصيروا مثلهم في كل شيء . ولو تجرَّدت الديانة المسيحية من رسومها وطقوسها حتى صارت

مذاهبها المختلفة مذهباً واحداً لسهل على اليابانيين اعتناقها

والظاهر ان الزنوج الذين تعلّموا وتثقّفوا ينوون الآن ان يستعيضوا عما فاتهم في عصر الجاهلية . وهم ميّالون الى التدين طبعاً فافلح المرسلون بينهم ولاسيما بعد ان صار المرسلون يهتمون بتعليمهم ما يلزم لمعيشتهم وراحتهم ورفاهتهم كالفلاحة والصناعة على انواعها وتدبير الصحة وتربية الاطفال و يساعدونهم على تهذيب اخلاقهم وابتعادهم عن شرب المسكرات وارتكاب المنكرات . ولا مشاحة ان اكثرهم المرسلين في هذا العصر مصروف الى تهذيب الاخلاق وتعليم الناس ما ينفعهم و يمنع الضرر عنهم

قال السر هري جنستن انهُ رأى في الولايات الجنوبية من اميركا الشمالية ان الوعظ في كل الكنائس الكاثوليكية كان في احد من الآحاد في موضوع واحد وهو طبائع الحشرات المعروفة بخنافس كولورادو التي تتلف زراعة البطاطس ونحوها من المزروعات والغرض من ذلك تعليم سكان تلك الولايات كيف يدرأُون الضرر عنهم . و يظهر ممَّا نشر من تلك العظات في الجرائد ان خدمة الدين الكاثوليكي كلهم يعرفون علم الحشرات و يعرفون كيف يوصلون معارفهم الى اذهان العامَّة و يفيدونهم بها. فقد احسن اولئك القسوس صنعاً وحبذا لو اقتدى بهم كل خدمة الدين

و يظهر لنا من الحديث مع المستر روزفلت وغيرهِ من الذين دخلوا قلب افريقية ان اعمال المرسلين هناك مقرونة بالنجاح التام من حيث تعليم الاهالي طرق الزراعة و بعض الصنائع اللازمة لهم . واذا كانت سيرة المرسلين مطابقة لتعاليمهم وسيرة غيرهم من الاوربيين مطابقة لها ايضاً فلا اسهل من تمدين الزنوج وتهذيبهم ولكن اذا كانت سيرة الاوربيين مخالفة لما يعلّمون بهِ فيسلكون مع الزنوج كأَنهم من جبلة اخرى غير جبلتهم وانهم ليسوا والزنوج من دم واحد ولا في مرتبة واحدة امام الخالق فيستحيل على الزنوج ان يوالوهم و يستفيدوا منهم ولا يبعد ان يزيدوا بعداً عنهم وكرهاً لهم

وما يقال عن الزنوج يقال عن الصفر وعن كل الامم فان الطريق الوحيد لجعلهم يثقون بك و يقتفون خطواتك هو ان تساويهم بنفسك ولا تترفع عليهم . ولو جرى الناس كلهم على هذه القاعدة لرأَوا ان كل طوائف الناس على اختلاف اشكالها والوانها اقرب الى التماثل ممَّا يظن وانها كلها تسير في سبل العمران على حدٍّ سوى فيقوم في كل طائفة ناس متفاضلون في العقول والهمم وقد لا يكون متوسط قوى الامة الواحدة مساوياً لمتوسط قوى الامة الاخرى ولكن لا يكون الفرق بين المتوسّطين كبيراً جدًّا

النقوش العربية والصور

نقلنا في الجزء الخامس من المقتطف الذي صدر في شهر مايو الماضي كلاماً في وصف جامع دمشق للشيخ شمس الدين المقدسي الذي زارهُ سنة ٩٨٥ للميلاد اي منذ ٩٢٥ سنة قال فيهِ ان حيطانهُ كانت مبلطة الى قامتين بالرخام المجزّع ثم الى السقف بالفسيفساء الملونة المذهبة فيها صور اشجار وامصار وكتابات على غاية الحسن والدقة ولطافة الصنعة وقلَّ شجرة او بلد مذكور الاَّ وقد مثل على تلك الحيطان . ونقل صاحب محاسن الشام « ان الرخام كان في جدران الجامع سبع وزرات ومن فوقهِ صفات البلاد وما فيها من العجائب وان الكعبة المشرفة وضع صفاتها فوق المحراب ثم فوق ذلك البلاد يميناً وشمالاً وما فيها من الاشجار المثمرة والمزهرة » ولم تزل بعض قطع الفسيفساء من تلك الصور الى الآن

ورسم المدن والاشجار ونحوها من الجماد في المباني الاسلامية القديمة غير نادر في هذا القطر ولا في القطر الشامي ولكن النادر رسم الحيوانات واندر منهُ رسم الانسان . ولا نتذكر اننا رأينا رسماً واحداً للانسان في كل المباني الاسلامية القديمة كأَن ذلك محرَّم شرعاً . و يظهر لنا ان الشقاق الذي حدث بين النصارى من حيث استعمال الصور في العبادة اتصل ببلاد العرب وكان جمهور النصارى هناك من المحرمين استعمال الصور فلما اسلموا بقوا على معتقدهم وزادوا رسوخاً فيهِ . ولكن لما فتح العرب مصر والشام والعراق و بلاد فارس واتصلوا بالقبط والروم والفرس واستعانوا بهم في بناء المباني وزخرفتها قللوا التشديد في تحريم الصور والتماثيل او صاروا يحرمونها تارةً ويحللونها أُخرى حسب تحمسهم في الدين او حسب تحمس مرشديهم من القضاة والمفتين

وقد ابنا في ما تقدَّم ان جامع دمشق كان مزداناً بصور الامصار والاشجار و بعضها مرسوم فيهِ لغاية دينية كرسم الكعبة المشرفة . وليس لدينا وصف قصور الخلافة في دمشق ولكن ان استحلَّ رسم هذه الصور في المساجد فلا ما يحرّم رسمها في البيوت والقصور . ولقد درست قصور بني اميَّة وليس في ما لدينا من كتب التاريخ وصف لها ولا لغيرها من القصور التي بنيت بعدهم في بلاد الشام . وقد رأينا في المباني العربية القديمة التي لا تزال قائمة في دمشق نقوشاً كثيرة في الرخام والمينا ولا نتذكر اننا رأينا فيها شيئاً يستحق الذكر من صور الاشجار والحيوانات

لكن ما زال من دمشق ولم يبقَ ذكرهُ في كتب التاريخ او ما لم يوجد فيها وجد في

مصر والاندلس وترى لهُ وصفًا بديعًا في كتب المؤرخين ودواوين الشعراء. ذكر المقريزي انهُ لما اشتدَّ القحط في مصر على عهد الخليفة المستنصر الفاطمي نحو سنة (٤٦٠ للهجرة) باع ما في خزائن الجوهر والطيب والطرائف والفرش والامتعة لينفق على اعوانهِ وجندهِ وفي جملة ذلك اجاجين (اجران) صيني كبار محلاَّة كل اجَّانة منها على ثلاثة ارجل على صورة الوحوش والسباع معمولة لغسل الثياب وطاووس ذهب مرصَّع بنفيس الجوهر عيناهُ من ياقوت احمر وريشهُ من الزجاج المينا المجرى بالذهب على الوان ريش الطاووس. وديك من الذهب لهُ عرف مفروق كاكبر ما يكون من اعراف الديوك من الياقوت الاحمر مرصع بالدر والجوهر وعيناهُ ياقوت. وغزال مرصَّع بنفيس الدر والجوهر وبطنهُ ابيض قد نظم من درٍ رائع. ونخلة ذهب مكللة بالجوهر وبديع الدر في اجَّانة ذهب تجمع الطلع والبلح والرطب بشكلهِ ولونهِ وعلى صفتهِ وهيأتهِ من الجواهر. وبستان ارضهُ فضة مخرقة مذهبة وطينهُ ند واشجارهُ فضة مذهبة مصوغة واثمارهُ عنبر. واخرج من خزائن الفرش من الستور الحرير المنسوجة بالذهب على اختلاف الوانها واطوالها عدة مئين تقارب الالف فيها صور الدول وملوكها والمشاهير فيها مكتوب على صورة كل واحد اسمهُ ومدة ايامهِ وشرح حالهِ

ومن ذلك مقطع من الحرير الازرق التستري القرقوبي غريب الصنعة منسوج بالذهب وسائر الوان الحرير كان المعز لدين الله امر بعملهِ في سنة ٣٥٣ فيهِ صورة اقاليم الارض وجبالها وبحارها ومدنها وانهارها ومسالكها شبه جغرافيا وفيهِ صورة مكة والمدينة مبينة للنظر مكتوب على كل مدينة وجبل وبلد ونهر وبحر وطريق اسمهُ بالذهب او الفضة او الحرير وفي آخرهِ مما امر بعملهِ المعز لدين الله شوقًا الى حرم الله واشهاراً لمعالم رسول الله في سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة والنفقة عليهِ اثنان وعشرون الف دينار

ونقل المقريزي عن كتاب الذخائر انهُ أُخرج في ما أُخرج من خزائن القصر عدة لم تحصَ من اعدال الخيم والمضارب المعمولة بالدبيقي والمخمل والخسرواني والديباج الملكي والارمني والبهنساوي والكردوالي منها المفيَّل والمسبَّع والمخيَّل والمطوَّس والمطير وغير ذلك من سائر انواع الوحش والطير والآدميين (اي عليها صورها) من سائر الاشكال والصور البديعة الرائعة وانهم اخرجوا فسطاطًا كبيراً اكبر ما يكون يسمى المدوَّرة الكبيرة يقوم على عمود طولهُ خمسة وستون ذراعًا بالكبير ودائرة فلكتهِ عشرون ذراعًا فقطرها ست اذرع وثلثا ذراع ودائرهُ خمسماية ذراع وقطع خرقهِ اربع وستون قطعة كل قطعة منها تحزم في عدل يجمع بعضها الى بعض بعرى وشراريب حين ينصب تحمل خرقهُ وحبالهُ وعدتهُ على

مئة جمل . قد صوّر في رفرفهِ كل صورة حيوان في الارض . وكان الخليفة انفذ الى متملك الروم في طلب عمودين للفسطاط طول كل واحد منهما سبعون ذراعاً احدهما في هذا الفسطاط بعد ان قطع منهُ خمس اذرع

وذكر بعد ذلك ان هذا الفسطاط صنع في حلب صنعهُ الحسن علي بن احمد المعروف بابن الايسر في سني ٤٤٠ وانفق على خرقهِ ونقشهِ وعدتهِ ثلاثون الف دينار (اكثر من ١٥ الف جنيه)

وكانت قصور اصحاب مصر مزدانة بالصور والتماثيل كما تزدان بها قصور الافرنج الآن نقل المقري في نفح الطيب ان ابا الصلت امية بن عبد العزيز الاندلسي قال يصف قصراً بمصر يسمى منزل العز بناهُ حسن بن علي بن تميم بن المعز

منزل العز كاسمهِ معناهُ لا عدا العز مَن بهِ سمَّاهُ
فاجلْ فيهِ لحظ عينيك تبصرْ اي حسن دون القصور حواهُ
سال في سقفهِ النضار ولكن جمدت في قرارهِ الامواهُ
وبارجائهِ مجال طراد ليس تنفك من وغىً خيلاهُ
تبصر الفارس المدجج فيهِ ليس تدمي من الطعان قناهُ
وترى النابل المواصل للنز ع بعيداً من قرنهِ مرماهُ
وصفوفاً من الوحوش وطير الجو كلٌّ مستحسن مرآهُ
سكنات تخالها حركاتٍ واختلاف كأنهُ اشباهُ

وقد تفنن الكتَّاب في وصف مباني العرب في الاندلس وما فيها من النقش والتصوير والتمثيل فقد جاء في وصف الزهراء التي بناها الناصر حاضرة لهُ في قرطبة انهُ نصب فيها حوضاً منقوشاً مذهباً غريب الشكل غالي القيمة جلبهُ اليهِ احمد اليوناني من القسطنطينية وحوضاً صغيراً اخضر منقوشاً بتماثيل الانسان جلبهُ من الشام وقالوا انهُ لا قيمة لهُ لفرط غرابتهِ وجمالهِ ونصبهُ الناصر في بيت المنام في مجلسهِ الشرقي المعروف بالمؤنس وجعل عليهِ اثني عشر تمثالاً من الذهب الاحمر مرصّعة بالدر النفيس الغالي مما عمل بدار الصناعة بقرطبة صورة اسد الى جانبهِ غزال الى جانبهِ تمساح وفي ما يقابلهُ ثعبان وعقاب وفيل وفي المجنبتين حمامة وشاهين وطاووس ودجاجة وديك وحدأة ونسر وكل ذلك من ذهب مرصَّع بالجوهر النفيس يخرج الماء من افواهها

قال المقري . وكمل للناصر بنيان القناة الغريبة الصفة التي اجراها وجرى فيها الماء العذب

من جبل قرطبة الى قصر الناعورة غربي قرطبة في المناهر المندسة وعلى الحنايا المعقودة يجري ماؤُها بتدبير عجيب وصنعة محكمة الى بركة عظيمة عليها اسدٌ عظيم الصورة بديع الصنعة شديد الروعة لم يشاهد ابهى منهُ في ما صوَّر الملوك في غابر الدهر مطليٌّ بذهب ابريز وعيناهُ جوهرتان لهما وبيص شديد يجوز هذا الماء الى عجز هذا الاسد فيمجهُ في تلك البركة من فيهِ فيبهر الناظر بحسنهِ وروعة منظرهِ وثجاجة صبهِ فتسقى من مجاجهِ جنات هذا القصر على سعتها و يستفيض على ساحاتهِ وجناتهِ و يمد النهر الاعظم بما فضل منهُ فكانت هذه القناة وبركتها والتمثال الذي يصب فيها من اعظم آثار الملوك في غالب الدهر لبعد مسافتها واختلاف مسالكها وفخامة بنيانها وسمو ابراجها التي يرقى الماءُ منها و يتصوب من اعاليها . انتهى

ووصف ابن حمديس الصقلي داراً بناها المنصور بن اعلى الناس ببجاية من افريقية قال

اعمر بقصر الملك ناديك الذي ... اضحى بمجدك بيتهُ معمورا
واشتقَّ من معنى الجنان نسيمهُ ... فيكاد يحدث بالعظام نشورا
نسي الصبيح مع الفصيح بذكرهِ ... وسما ففاق خورنقاً وسديرا
لو ان بالايوان قوبل حسنهُ ... ما كان شيئاً عندهُ مذكورا
اعيت مصانعهُ على الفرس الالى ... رفعوا البناء واحكموا التدبيرا
ومضت على الروم الدهور وما بنوا ... لملوكهم شبهاً لهُ ونظيرا
اذكرتنا الفردوس حين اريتنا ... غرفاً رفعت بناءها وقصورا
فلك من الافلاك الا انهُ ... حقر البدور فاطلع المنصورا
ابصرتهُ فرأيت ابدع منظر ... ثم انثنيت بناظري محسورا
فظننت اني حالم في جنة ... لما رأيت الملك فيهِ كبيرا
واذا الولائد فتحت ابوابهُ ... جعلت ترحب بالعفاة صريرا
عضت على حلقاتهنَّ ضراغم ... فغرت بها افواهها تكبيرا
فكأنها لبدت لتهصر عندها ... من لم يكن بدخولها مأمورا
تجري الخواطر مطلقات أعنة ... فيهِ فتكبو عن مداهُ قصورا
بمرخم الساحات تحسب انهُ ... فرش المها وتوشح الكافورا
ومحصَّب بالدر تحسب تربهُ ... مسكاً تضوَّع نشره وعبيرا

ثم ذكر بركة فيهِ عليها اشجار من ذهب وفضة ترمي فروعها المياه وتفنن فذكر اسودا على حافاتها قاذفة بالمياه ايضاً فقال

وضراغم سكنت عرين رئاسة ... تركت خرير الماء فيهِ زئيرا
فكأنما غشَّى النضار جسومها ... واذاب في افواهها البلورا
أُسد كأَن سكونها متحرك ... في النفس لو وجدت هناك مثيرا
وتذكرت فتكاتها فكأَنما ... اقعت على ادبارها لتثورا
وتخالها والشمس تجلو لونها ... ناراً والسنها اللواحس نورا
فكأَنما سلَّت سيوف جداول ... ذابت بلا نار فعدن غديرا
وبديعة الثمرات تعبر نحوها ... عيناي بحر عجائب مسجورا
شجرية ذهبية نزعت الى ... سحر يؤثر في النهى تأثيرا
قد صوبحت اغصانها فكأَنما ... قبضت بهن من الفضاء طيورا
وكأَنما تأْبى لوقَّع طيرها ... ان تستقل بنهضها وتطيرا
من كل واقعة ترى منقارها ... ماء كسلسال اللجين نميرا
خرس تعدُّ من الفصاح فان شدت ... جعلت تغرد بالمياه صفيرا
وكأَنما في كل غصن فضة ... لانت فارسل خيطها مجرورا
وتريك في الصهريج موقع قطرها ... فوق الزبرجد لؤلؤاً منثورا
ومصفَّح الابواب تبراً نظَّروا ... بالنقش فوق شكوله تنظيرا
تبدو مسامير النضار كما علت ... تلك النهود من الجنان صدورا
واذا نظرت الى غرائب سقفهِ ... ابصرت روضاً في السماء نضيرا
وعجبت من خطاف عسجده التي ... حامت لتبني في ذراه وكورا
وضعت بهِ صناعها اقلامها ... فأَرتك كل طريدة تصويرا
وكأَنما للشمس فيهِ ليقة ... مشقوا بها التزويق والتشجيرا
وكأَنما اللازرد فيهِ مخرم ... بالخط في ورق السماء سطورا
وكأَنما وشُّوا عليهِ ملاءة ... تركوا مكان وشاحها مقصورا

وواضح مما تقدَّم ان العرب الذين ملكوا مصر والشام وافريقية لم يأْنفوا من الاقتداء بالروم في وضع الصور والتماثيل في دورهم ولكنهم لم يجروا على وتيرة واحدة وقد علل بعضهم ذلك في الجزء الاخير من مجلة القرن التاسع عشر بان عرب اليمن لم يكونوا يأنفون من وضع الصور والتماثيل في مبانيهم لانهم الفوها في بلادهم وكذلك الاقباط الذين اسلموا او استخدموا في بناء المباني وزخرفتها فانهم ادخلوا فيها النقوش والصور التي الفوها في مباني اسلافهم وعليهِ

فهو ينسب وضع الصور والتماثيل في المباني العربية الى عرب اليمن والى الذين اسلموا من القبط . ولكن كلام مؤرخي العرب صريح في ان خلفاء العرب وامراءهم كانوا يأتون بالصناع من بلاد الروم حتى لبناء مسجد المدينة المنوَّرة على ما ذكرنا في جزء مايو الماضي في الكلام على جامع دمشق . واننا لنرتاب في نسبة الصور والتماثيل الى الصناع المصريين لان هؤلاء اهملوا صناعة التصوير والنقش بعد ما تنصروا حتى لا تجد في كنائسهم القديمة التي من قبل الفتح صورة تستحق الذكر . والآثار القديمة التي وجدت في بلاد اليمن حتى الآن لا تدل على ان صناعة التصوير والنقش كانت راقية فيها كما كانت عند اليونان والرومان فالأولى ان يقال ان العرب اقتبسوا صناعتهم من الروم ومن الفرس ايضاً لا من المصريين ولا من اليمانيين

معجم الحيوان

﴿ الكَكَم . القيقُب . القَيقُوبَة . الوَقوَق ﴾ Cuculus E. Cuckoo. F. Coucou
طائر يشبه الباشق كثيراً وهو لا يحضن بيضهُ بل يضعهُ في عش طائر آخر. وانواعهُ كثيرة

ولم اقف على اسم عربي لهُ في كتب اللغة ولا يعقل انهم كانوا يجهلون امرهُ لانهُ من الطيور المشهورة والككم اعجمي . قال الدميري « انهُ طائر بارض طبرستان حسن موشّى حسن العينين جدًّا سمي باسم صياحهِ الذي يصيحهُ وربما اصطاد العصافير وصغار الطير مما يكون في الآجام والمياه وغيرها لكن لا في جميع السنة بل في فصل الربيع فاذا صاح اجتمعت عليهِ العصافير وصغار الطيور مما يكون في الآجام والمياه وغيرها فتزقهُ من اول النهار فاذا كان آخر النهار اخذ واحداً منها فاكلهُ فذلك فعلهُ في كل يوم الى ان ينقضي فصل الربيع فاذا انقضى انعكست عليهِ فلا تزال تجتمع عليهِ وتطردهُ وتضربهُ وهو يهرب منها. ولا يسمع لهُ صوت الى فصل الربيع الآخر » . فهذا الوصف يشبه كثيراً وصف الطائر المسمى كوكو عند الافرنج فانهُ لا يحضن بيضهُ بل يلقيهِ في عش طائر آخر فمتى فرَّخ البيض يزقهُ ذلك الطائر. وفرخهُ شره نهم يتغلب على الفراخ الاخرى التي في العش ولا يزال يزاحمها فيهِ حتى يلقيها منهُ ويبقى فيهِ وحدهُ . وبعض انواعهِ يشبه الباشق كثيراً لذلك تجتمع عليهِ العصافير وتطردهُ . هذه حقيقة هذا الطائر واظنها اساس الحكاية التي رواها الدميري

ويعرف هذا الطائر في الشام بالقيقوبة والقيقب والاخيرة ذكرها صاحب محيط المحيط وهي حكاية صوت هذا الطائر او انها مصرية او سريانية الاصل . وذكر سافيني ان العرب

في مصر يسمونهُ الهوهو وقال ترسترام انهُ يسمى التكوك في فلسطين وذكر بعضهم ان اسمهُ الوَقْوَق لوقوقتهِ ولم اسمع من هذه الاسماء الاَّ القيقب والقيقوبة

❁ الهُدْهُد ❁ Upupa. E. Hoopoe. F. Huppe معروف ومشهور سمي بصوتهِ في اكثر اللغات

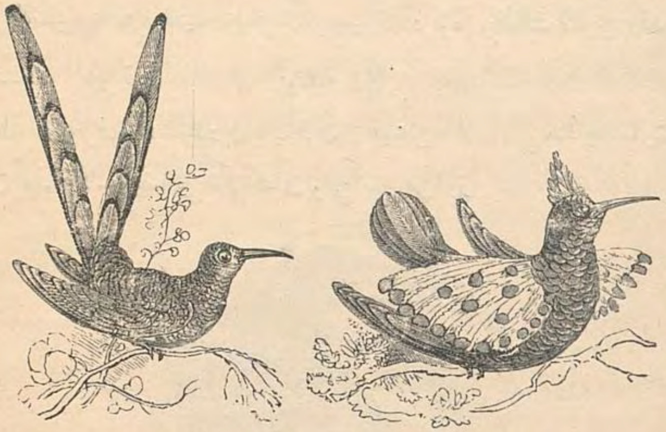

الطيور الطنَّانة

❁الطائر الطنَّان❁ Trochilidæ E. Humming-birds. F. Oiseaux-mouches

اصغر الطيور المعروفة · وهو انواعٌ كثيرة كلها اميركية والتسمية من اوضاع المقتطف (مجلد ٢٣ : ١٦)

❁ الغوَّاص · الغاق · الغاقة · غاق الماء · غراب الماء ❁

Phalcocorax. E. Cormorant. F. Cormoran.

طائر من طيور الماء

قال الدميري «الغواص طائر نسميهِ اهل مصر الغطاس وهو القرلَّى الآتي في باب القاف · قال القزويني في الاشكال وهو طائر يوجد باطراف الانهار يغطس في الماء ويصطاد السمك يتقوَّت منهُ · وكيفية صيدهِ انهُ يغوص في الماء منكوساً بقوَّة شديدة ويمكث تحت الماء · ويوجد كثيراً بارض البصرة»

وفي عجائب المخلوقات «الغوَّاص طائر يقال لهُ بالفارسية ماهي خوار (اي آكل السمك) يوجد بالبصرة على طرف الانهار يغوص في الماء معكوساً بقوَّة شديدة ويلبث تحت الماء الى ان يرى شيئاً من السمك فيأخذهُ ويصعد بهِ»

والغاق والغاقة في الدميري نوعٌ من طير الماء وهو الغراب ايضاً سمي بهِ لصوتهِ . وذكر

ارسطو هذين الطائرين باسم واحد ايضاً اي Korax ومن اسماء الغواص في مصر غراب الماء واسمهُ بالانكليزية والفرنسوية من اصل لاتيني معناه غراب الماء ايضاً . وقول الدميري ان اهل مصر يسمونهُ الغطاس ليس بعيداً عن الصواب فمن اسمائهِ في مصر والسودان ابو غَطْس وابو غطَّاس لكنَّ اسمهُ المشهور في الشام ومصر والسودان العقق . اما الغطّاس والغطّاسة والغطَّيس فهي اسماء لطائر آخر سيأتي ذكرهُ وكذلك القرلّى وقد ذكر

❖ النسَّاف . ابو قرن . البوقير (يونانية) ❖ Bucerus. E.Hornbill. F. Calao

طائرٌ كبير المنقار يعرف في السودان بابي قرن (هوغلن) لان على منقارهِ ما يشبه القرن . وهم يطلقون هذا الاسم ايضاً على الكركدَّن وعلى نوع من الوز

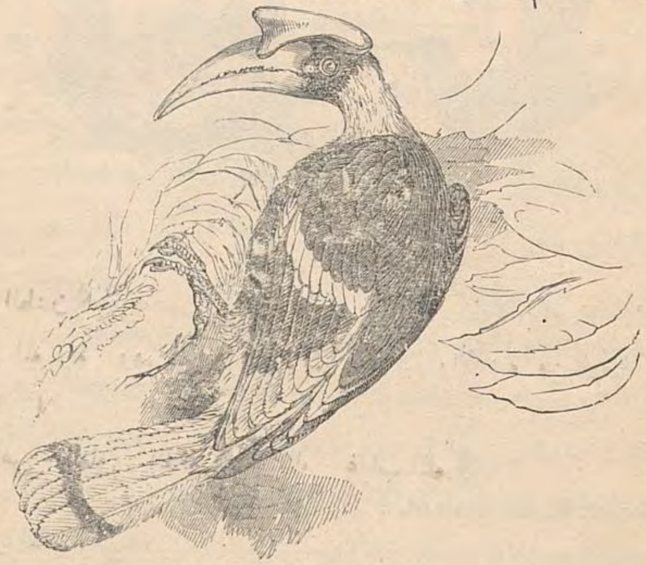

النسَّاف

وذكر الاب انستاس في مجلة المشرق (٥ : ٩٤٢) ان البوقير معرَّب Boukeros باليونانية ومعناهُ ذو القرن البقري . ولهُ تفسير لطيف للحكاية التي اوردها القزويني والدميري عن هذا الطائر . وقال ايضاً انهُ الطائر المعروف بالبقرة عند اللغويين . لكنني ارى انهم يطلقون هذه اللفظة في ايامنا على نوع من البلشون سيأتي ذكرهُ

والنسَّاف في الدميري طائر لهُ منقارٌ كبير

❖ الزُّقة الزُّقَّق ❖ Plotus. E. Darter. F. Anhinga « طائر من طير الماء يكر حتى يكاد يقبض عليهِ ثم يغوص فيخرج بعيداً » (المخصص ولسان العرب) . وهي صفة هذا

الطائر كما يتضح من مراجعة وصفهِ في كتب الحيوان

﴿ البجع · الحوصل · جَمَل الماء · جَمَل البحر · ابو جراب · ابو شِلْبَة ﴾

Pelecanus. E. Pelican. F. Pélican

طائر مائي كبير لهُ حوصلة عظيمة تحت منقارهِ

ابن البيطار « طائر يكون بمصر كثيراً يعرف بالكي وهو صنفان ابيض واسود والاسود منهُ كريه الرائحة لا يكاد يستعمل والابيض اجودهُ واقوى واطيب رائحة وحرارتهُ قليلة ورطوبتهُ كثيرة وهو قليل البقاء ولباسهُ يصلح للشباب وذي الامزاج الحارة ومن يغلب عليهِ الصفراء » · ولم يترجمهُ لكلار (مترجم ابن البيطار) بل ذكر في آخر الفقرة انهُ مجهول

البجع او الحوصل

الدميري « الحوصل طائر كبير لهُ حوصلة عظيمة يتخذ منها الفرو وجمعهُ حواصل قال ابن البيطار وهذا الطائر يكون بمصر كثيراً و يعرف بالبجع وجمل الماء والكي »

محيط المحيط « البجع طائر لهُ حوصلة عظيمة يتخذ منها الفرو و يعرف بالحوصل الواحدة بجعة »

والبجع في بعض انحاء الشام طائر آخر يسمى اللقلق اما في مصر فانهم يسمون الحوصل البجع الى يومنا كما هو في كتب اللغة · ومن اسمائهِ في مصر والشام جمل الماء وجمل البحر وابو جراب ويسمى في سواحل البحر الاحمر ابا شلبة والشلبة نوعٌ من السمك (Sparus salpa) يأكلهُ هذا الطائر

﴿ البَلَشون (مصرية الاصل) · مالك الحزين · السُبَيْطر · ابو العَيْزار ﴾
Ardea. E. Heron. F. Héron

طائر من طيور الماء طويل العنق والرجلين · سمي بمالك الحزين لانهُ على زعمهم لا يزال يقعد بقرب المياه ومواضع نبعها من الانهار وغيرها فاذا نشفت يحزن على ذهابها ويبقى حزيناً كئيباً · ويعرف في مصر بالبلشون ويظن ان هذه اللفظة مصرية الاصل فهي بلكوب او بلكوف بالقبطية Pi-Lekob باضافة اداة التعريف القبطية وتشبه كثيراً Pelekan باليونانية وPelecanus باللاتينية وهو الحوصل كما مرّ. ولعل هذه الالفاظ من اصل واحد[١] وقد ذكر البلشون في كتاب الاعتبار لابن منقذ ووردت اللفظة مرتين بلفظ البلشوب (الصفحة ١٤٢ و ١٦٠) وهي اقرب الى الاصل المصري . ولعلها كانت تلفظ كذلك في بعض انحاء القطر المصري او انها من تحريف النسَّاخ

وهذا ما جاء عن البلشون ومالك الحزين في الدميري « قال الجوهري انهُ من طير الماء وقال ابن بري في حواشيهِ انهُ البلشون قال وهو طائر طويل العنق والرجلين · قال الجاحظ من اعاجيب الدنيا امر مالك الحزين لانه لا يزال يقعد بقرب المياه ومواضع نبعها من الانهار وغيرها فاذا نشفت يحزن على ذهابها ويبقى حزيناً كئيباً وربما ترك الشرب حتى يموت عطشاً خوفاً من زيادة نقصها بشربهِ منها · · · ولما كان يقعد عند المياه التي انقطعت عن الجري وصارت مخزونة سمي مالكاً ولما كان يحزن على ذهابها سمي بالحزين »

وجاء في محيط المحيط « السُبَيْطر وفي عاصم افندي السُبَيْطِر طائر طويل العنق جدًّا تراهُ ابداً في الماء الضحضاح يكنى ابا العَيْزار ويعرف بمالك الحزين » وجاء في غيرهِ من كتب اللغة ان ابا العيزار هو الكركي

ويعرف هذا الطائر في مصر بالبلشون والبلشوم والبلشان الى يومنا وهو انواعٌ كثيرة منها ابو قردان وابو بقر وغيرهما

﴿ ابو بقر · ابو غنم · ابو جاموس · البقرة ﴾ Ardea bubulcus E. Buff-backed heron. F. Héron garde-bœuf.

نوعٌ من البلشون يعرف بالاسماء الثلاثة الاولى في مصر والسودان (هوغلن وساڤيني) ويسمى في المغرب طير البقرة (دوزي) · والبقرة في الفيروز بادي طائر يكون ابرق او اكحل او ابيض وهذا الوصف ينطبق على انواع البلشون لا على انواع البوقير كما يتضح من وصف هذه الطيور في كتب الحيوان

(١) انظر البلشوم في معجم دوزي والبلشون في بغية الطالبين لاحمد بك كمال

وفي افريقية طائر آخر تسميهِ عرب السودان طير البقر واسمهُ العلمي Buphaga

❖ ابو قردان ❖ Ardea alba. E. White egret. F. Aigrette نوعٌ من البلشون يعرف بهذا الاسم في مصر والسودان ولعلهُ سمي بذلك لانهُ يقتات بالقراد . ولهذا الطائر ريش ابيض جميل جدًّا تتزين بهِ النساء

❖ الواق . غراب الليل ❖ Ardea nycticorax. E. Night heron. F. Bihoreau

نوعٌ من البلشون يعرف بالواق في مصر والسودان الى يومنا وبعضهم يسميهِ غراب الليل ايضاً . وقد ذكرهُ الجاحظ بهذا الاسم اي غراب الليل ولم يصفهُ واظنهُ اخذ ذلك عن كتاب النعوت لارسطو . وسماهُ ارسطو Nuktikorax ومعناهُ غراب الليل ومنهُ الاسم العلمي المذكور آنفاً

والواق في الدميري وكتب اللغة من طير الماء وقد وصفهُ داود الانطاكي في تذكرتهِ قال . « الواق طير يقرب من الحمام فوق رأسهِ طاقات شعر شديدة البياض وباقي رأسهِ في غاية السواد وريشهُ ابيض دقيق املس . يأوي الماء كثيراً » . وهذه الصفة تنطبق تماماً على هذا الطائر

❖ العجَّاج . الأنيس ❖ Botaurus Stellaris. E. Bittern. F. Butor طائر من طير الماء يشبه صوتهُ صوت البقر لذلك يسميهِ الافرنج Botaurus واظنهُ الانيس بالعربية . قال الدميري «الانيس وتسميهِ الرماة الانيسة طائر حاد البصر يشبه صوتهُ صوت الجمل ومأواهُ قرب الانهار والاماكن الكثيرة المياه الملتفة الاشجار» . وهي صفة هذا الطائر . وقد سماهُ المرحوم احمد فارس بالعجاج اي الصيَّاح ولم اسمع هذه اللفظة ولعلها من اوضاعهِ

❖ ابو مركوب ❖ Balæniceps rex. E. Shoe-bill or whale-headed stork. F. Balæniceps.

طائر عجيب من طيور بحر الغزال واعالي النيل بين اللقلق والبلشون في الخلقة ويسميهِ عرب السودان ابا مركوب لان منقارهُ يشبه الحذاء المنعقف الرأس ومنهُ اسمهُ بالانكليزية Shoe-bill . وهو نادر جدًّا لم يصل منهُ الى اوربا على قيد الحياة الاَّ طائران اتى بهما المستر بثريك سنة ١٨٦ . وفي حديقة الجيزة الآن طائران منهُ ولا وجود لهُ في غيرها من حدائق الحيوان

❖ اللَّقْلاَق . اللَّقلَق . اللَّغلغ . البلارج . الفالرغوس (كلاهما معرَّب Pelargos باليونانية) . ابو حُدَيج ❖ Ciconia. E. Stork. F. Cigogne طائر كبير طويل الرجلين والعنق سمي بذلك للقلقتهِ اي طقطقة منقارهِ فانهُ لا يصوت بحنجرتهِ كغيرهِ من الطيور . ويسمى في بعض انحاء الشام بالبجع والبجع طائر آخر كما مر

قال الدميري « اللقلق طائر اعجمي طويل العنق وكنيتهُ ابو حديج وعبر عنهُ الجوهري

بالقاف وهو اسم اعجمي قال وربما قالوا اللغلغ والجمع اللقالق . وهو يأكل الحيات وصوتهُ اللقلقة وكذلك كل صوت فيهِ حركة واضطراب »

وفي مفردات ابن البيطار « الفالرغوس هو اللقلق وهو البلارج. طائر معروف » . وذكر لكلار في حاشية لهُ انهُ يسمى بالبلارج في تونس الى يومنا

ويعرف هذا الطائر باللقلق في اكثر انحاء الاناضول والعراق والشام وذكر هوغلن انهُ يسمى الاقلق بلغة بربرة ولعلهُ يريد اللقلق لكنهُ سمعها الاقالق من بعض الاعراب ويصعب كثيراً تمييز الهمزة متى نطق بها الاعراب بعد ال التعريف فيقول بعضهم اللسد عوضاً عن الاسد ومن امثلة ذلك في كتب اللغة الاصف واللصف وهو نوعٌ من النبات يعرف ايضاً بالكبر

روبرت كوخ

فجع العلم بوفاة طبيب من اشهر اطباء هذا العصر ففقد الناس بوفاتهِ رجلاً من اعظم ابنائهم نفعاً للعباد الا وهو الدكتور روبرت كوخ العالم البكتيريولوجي المشهور وصاحب الاكتشافات العديدة فلا غرو اذا قال قيصر الالمان في رسالة التعزية التي بعث بها الى ذويهِ انهُ « اعظم اطباء الالمان في هذا العصر » .

واعمال هذا الرجل العظيم واكتشافاتهُ معروفة عند قرَّاء المقتطف فقد كنا نوردها في حينها وذكرنا ملخصها ايضاً في الصفحة ٣٨٦ من المجلد الرابع عشر وسنذكر ترجمتهُ الآن مع خلاصة ما اتى بهِ من الاعمال العظيمة والاكتشافات المهمة

ولد في كلوستال من مدن هانوفر بالمانيا في الحادي عشر من دسمبر سنة ١٨٤٣ فتكون وفاتهُ في السنة السابعة والستين من عمرهِ . وكان ابوهُ موظفاً في ادارة المعادن

والغابات ولهُ ثلاثة عشر ولداً احدهم روبرت هذا · ولما بلغ التاسعة عشرة من عمره ادخلهُ ابوهُ جامعة غوتنجن فدرس فيها خمس سنوات ونال الشهادة الطبية سنة ١٨٦٦ وعيّن مساعداً في المستشفى العام في همبرج وبقي هناك نحواً من سنتين ثم توجه الى لانغنهاغن ثم الى ركووتز واشتغل فيهما بصناعة الطب الى ان كانت الحرب السبعينية فتطوّع فيها · ثم عاد الى التطبيب وسنة ١٨٧٢ اقام في ولستين وشرع يبحث في الجراثيم اي الميكروبات واستنبتها وفصلها بعضها عن بعض فوفّق الى اكتشاف طريقة سهلة لذلك اكسبتهُ شهرة عظيمة وكانت من اهم الاكتشافات التي آلت الى تقدم البكتيريولوجيا اي علم الجراثيم · ويحسن بنا في هذا المقام ان نورد شيئاً عن تاريخ هذا العلم وكيفية توصل العلماء الى اكتشاف الجراثيم المرضية لتعلم اهمية الاعمال التي قام بها الدكتور كوخ

القول بالجراثيم

كان الباعث الى اكتشاف الجراثيم وتأثيرها امران اولهما مناقشات العلماء وابحاثهم في الاختمار والثاني اتقان المكرسكوب والتفتيش عن الاحياء الدنيا به

اما الاختمار فقد كان الرأي المعول عليهِ قبلاً عند علماء الكيمياء انهُ ناتج عن انحلال المواد الآلية لكنهم لم يذكروا سبباً لهذا الانحلال الى ان قام ابير (Appert) واثبت في سنة ١٨١٢ ان المواد القابلة للاختمار لا تختمر اذا وضعت في زجاجات مقفلة بعد وضعها في ماء غال · ثم في سنة ١٨٣٦ و١٨٣٧ اكتشف كانيار لاتور (Cagniard-Latour) وشوان (Schwann) جراثيم الاختمار فاخذ العلماء يبحثون فيها وكان اهم الباحثين لويس باستور المشهور ولا يزال ذكرهُ يرنّ في الاذهان · ومن اهم الامور التي اثبتها ان جراثيم الاختمار اذا قتلت بالتعقيم او مُنع دخولها الى المواد القابلة للاختمار لم تختمر تلك المواد وان التولُّد الذاتي لا يمكن اثباتهُ وان التعفّن ليس الاَّ نوعاً من الاختمار

اما الاحياء الدنيا فاوّل من اكتشفها ليونهوك في القرن السابع عشر ولم يكن المكرسكوب قد وصل الى الدرجة التي نراهُ فيها من الاتقان · وكانوا يجهلون في ذلك الزمن ان لهذه الاحياء علاقة بالامراض لكن يقال ان روبرت بويل الانكليزي الذي نشأ في القرن السابع عشر اشار الى شيء من هذا في احد مصنفاتهِ · ولما اتقن المكرسكوب في القرن الماضي اكثر العلماء من البحث عن هذه الاحياء وعلاقتها بالامراض ويرجع الفضل في ذلك الى جماعة منهم مثل باستور وكوهن وكلبس وكوخ وغيرهم وكانوا قد تنبهوا اليها في بحثهم عن الاختمار · وفي سنة ١٨٤٨ اعلن فوكس انهُ رأى بعض الجراثيم في جثث الحيوانات التي

ماتت بالحمى العفنة واذاع داڤين في سنة ١٨٥٠ انهُ رأى نوعاً من الباشلس في جثث الحيوانات التي ماتت بالبثرة الخبيثة ثم لقح بعض الحيوانات بهِ فاصابتها البثرة الخبيثة فتبين للعلماء ان هذا الباشلس سبب المرض المعروف بالبثرة الخبيثة فسمي بالباشلس الجمري (١) وهو اول مكروب اكتشف وثبت انهُ يسبب مرضاً معلوماً . وتوالت الاكتشافات بعد ذلك واهمها اكتشاف الباشلس الدرني والباشلس الضمي وكلاهما للدكتور كوخ كما سيجيء

على ان وجود مكروب ما في جسم مَن بهِ داء لا يثبت انهُ سبب الداء اذ يحتمل ان يكون وجودهُ اتفاقاً او لاسباب أُخرى فاخذ الدكتور كوخ يبحث عن طريقة يمكنهُ ان يثبت بها ان الباشلس الجمري هو المسبب للبثرة الخبيثة فاستنبتهُ خارج الجسم وفصلهُ عن غيرهِ ورباهُ على حدةٍ الى ان تمكن من الحصول على نبتٍ خالصٍ منهُ فلقَّح بهِ بعض الحيوانات السليمة فاصابتها البثرة الخبيثة وثبت بذلك ان الباشلس الجمري هو المسبب لهذا الداء . ووضع كوخ اربعة شروط لابد منها لكي يثبت ان مكروباً من المكروبات يسبب مرضاً من الامراض ولم تزل هذه الشروط متبعة الى الآن وهي

(١) يجب اثبات وجود المكروب في دم المصاب او انسجتهِ

(٢) يجب استنبات ذلك المكروب خارج الجسم في منبت يصلح لهُ والحصول على نبت خالص منهُ بعد اعقاب متوالية

(٣) اذا لقّح حيوان سليم بهذا النبت النقي يجب ان يصيبهُ الداء المذكور

(٤) يجب اثبات وجود المكروب في دم الحيوان الذي لقح بهِ او في انسجتهِ

ولم تقتصر فائدة هذا الاكتشاف على فصل المكروبات بعضها عن بعض بل صار من السهل تربيتها وتخفيفها والتلقيح بها إما لمنع الداء او لمعالجتهِ وهو المبدأُ الذي سار عليهِ باستور فاكتشف لقاح البثرة الخبيثة في سنة ١٨٨١ ثم توالت الاكتشافات التي من هذا القبيل كعلاج الكلب والدفثيريا وغيرهما

---

(١) لهذا المرض اسماء كثيرة عند اطباء العرب والافرنج ولم يكن معروفاً تمام المعرفة قبل اكتشاف الباشلس الجمري فلم يفرقوا بينهُ وبين الدمل الكبير او مجموع الدمامل المعروف بفرخ الجمر عند عامة اهل الشام . ومن اسمائهِ الجمرة Anthrax, carbunculus, carbuncle, charbon وكلها بمعنىً واحد تقريباً . والنملة الفارسية والحمى الطحالية والبثرة الخبيثة (Malignant pustule) . وقد اعتمدنا على تسميتهِ بالاسم الاخير وتسمية مجموع الدمامل اي فرخ الجمر بالجمرة (Carbuncle) . والبثرة الخبيثة داء قتال اكثر ما يصيب البقر ثم الغنم ثم الخيل ويصيب الآدميين ايضاً لكنهُ نادرٌ جداً في السباع ويصعب تلقيحها بهِ

اعمالهُ واكتشافاتهُ الاخرى

﴿ التدرُّن او السل ﴾ وعين كوخ سنة ١٨٨٠ مستشاراً في مجلس الصحة فاخذ يبحث في التدرن واسبابهِ الى ان وُفّق الى اكتشاف مكروبهِ فاذاع في سنة ١٨٨٢ ان الامراض التدرُّنية كالسل الرئوي ونحوهِ سببها نوعٌ من الباشلس وانهُ قد وجد هذا الباشلس في كل الاعضاء المصابة بالتدرُّن ولم يجدهُ في غيرها. ولم يقتصر على اكتشافهِ في الانسان بل وجدهُ ايضاً في الحيوانات المصابة بهذا المرض كالبقر والخنازير والدجاج والقرود والارانب وغيرها. وقال ان العدوى تنتقل بالهواء فيستنشق السليم الهواء الذي انتشرت فيهِ هذه المكروبات من نفث المسلولين

ولما نشر نتيجة بحثهِ في احدى المجلات الطبية واطلع عليهِ الدكتور كلبين وهو من علماء البكتيريولوجيا المشهورين ومن الدّ خصوم كوخ في مسألة الكوليرا قال « ان كل من يطالع ما كتبهُ الدكتور كوخ في هذا الموضوع يسلّم بنتائجهِ تسليماً تامًّا ». فزادت شهرة الدكتور كوخ باكتشافهِ هذا وذاع صيتهُ في المسكونة

﴿ الكوليرا ﴾ ولما فشت الكوليرا في مصر سنة ١٨٨٣ اوفدتهُ الحكومة الالمانية اليها والى الهند ليبحث في هذا الداء وعلتهِ فوجد نوعاً خاصًّا من الباشلّس في امعاء المصابين ولم يجدهُ في امعاء غيرهم فثبت لهُ وللجنة التي كان رئيساً عليها ان لهذا الباشلّس علاقة ما بالوباء. وفي سنة ١٨٨٤ تفشت الكوليرا في مدينة طولون فدعتهُ الحكومة الفرنسوية للبحث في علة انتشارها هناك. وكان قد وضع تقريراً عن الكوليرا بعد عودتهِ من الهند ومصر بيّن فيهِ ان علتها نوعٌ من الباشلُّس منحنٍ كالضمة وقد نشرنا تقريرهُ في حينهِ. واحتدمت نار الجدال بينهُ وبين غيرهِ من العلماء في مسألة الكوليرا وكان اشدّ خصومهِ في ذلك فنكلر وبرير وكلبين المذكور آنفاً فردّ عليهم في خطبتين نشرناهما في المجلد التاسع من المقتطف. ووهبتهُ الحكومة الالمانية هو واللجنة التي كانت معهُ ٦٧٥٠ جنيهاً جزاءً لهم

وعين في سنة ١٨٨٥ استاذاً للهيجين اي علم حفظ الصحة في جامعة برلين فوفد عليهِ الطلبة من اقطار المسكونة وكان تلامذتهُ يعاونونهُ في ابحاثهِ لان ضيق الوقت لم يمكنهُ من مباشرة كل شيء بنفسهِ واشتهر جماعة منهم فيما بعد

﴿ علاج التدرُّن ﴾ واعلن في المؤتمر الطبي العاشر الذي عقد سنة ١٨٩٠ انهُ اكتشف التوبركولين وهو مادّة مستخرجة من استنبات الباشلُّس الدرني

وقال ان لهُ فائدة في منع التدرن وربما شفا المصابين ايضاً . وما ذاع هذا الخبر حتى تقاطر اليهِ المصابون من انحاء العالم لكن طريقتهُ هذه لم تكن قد نضجت بعد وكان الناس وبينهم بعض الاطباء يرجون منها اكثر مما نسبهُ اليها نخابت آمالهم وتركوها . على انهُ لم يزل كثير من الاطباء يرجون منها فائدة كبيرة فالاكتشاف كان في اوّلهِ ولم يتم حتى الآن

واعلن سنة ١٨٩٧ انهُ اكتشف نوعاً آخر من التوبركولين ويظهر ان لهذا النوع بعض الفائدة في معالجة المسلولين ولا بد من ان الطريقة التي سار عليها الدكتور كوخ ستكون اساساً للعلاج الذي يكتشف لهذا الداء في المستقبل

﴿ الطاعون البقري ﴾ وعين في سنة ١٨٩١ مديراً لمعهد جديد انشئَ للبحث في الامراض المعدية فكان هو وتلاميذهُ يبحثون في كثير من الامراض وعللها . وانتدب في سنة ١٨٩٦ للبحث في الطاعون البقري في جنوب افريقية فتوصل الى معرفة علتهِ بمساعدة الدكتورين كول وترنر ووضع الاساس الذي بني عليهِ فيما بعد العلاج الواقي من هذا الداء

﴿ الطاعون الدبلي ﴾ وسافر الى الهند والمستعمرة الالمانية في شرق افريقية للبحث في الطاعون الدبلي الذي يصيب الناس وعن كيفية انتقالهِ فتتبع الباشلس الذي يسببهُ وكان قد اكتشفهُ يرسن فوجد انهُ ينتقل بالجرذان وان الداء متوطن في العراق وهونان بالصين وبلاد التبت والحجاز وسواحل بحيرة فكتوريا في اواسط افريقية . وقال انهُ لا يمضي زمن طويل حتى تنظف تلك الاماكن فينقطع دابر الطاعون من العالم

﴿ التدرن البقري او سل البقر ﴾ وفي سنة ١٩٠١ ادهش العالم بخطبة تلاها في مؤتمر التدرن العام الذي انعقد في تلك السنة بمدينة لندن فقال ان التدرّن البشري يختلف عن التدرن البقري وانهُ لا يمكن نقلهُ من الناس الى المواشي . اما التدرن البقري فانتقالهُ الى الناس بلبن البقر ولحمها ليس اكثر من انتقالهِ بالوراثة وانهُ لا يرى موجباً لمكافحتهِ وقد عربنا خطبتهُ ونشرناها حينئذٍ . ولا يخفى ان لهذه المسألة اهمية كبرى فعينت كل من الحكومة الالمانية والانكليزية والاميركية لجنة للبحث في هذه الاقوال وكثرت المناقشات في هذا المعنى ولم يزل يجادل ويناضل الى قبل وفاتهِ بزمن يسير : ويظهر انهُ عدّل رأيهُ قليلاً فقال في حديث لهُ مع مكاتب جريدة التيمس في برلين منذ سنة ان الاختلافات بينهُ وبين الذين انتقدوهُ من اعضاء اللجنة الانكليزية قد صارت قليلة جدًّا

﴿ الحمى الساحلية ﴾ وسافر سنة ١٩٠٣ الى جنوب افريقية للبحث في الحمى الساحلية

وهي داء يصيب الماشية شبيه بالحمى المعروفة في اميركا بحمى تكساس. ويظهر ان سببهُ احياء حلية في الدم كالملاريا

﴿ داء النوم ﴾ وعاد الى افريقية في سنة ١٩٠٦ للبحث في مرض النوم وعلاجهِ بالاتوكسل وهو من مركبات الزرنيخ الآلية التي يمكن اعطاء جرعات كبيرة منها . فظُنَّ في اول الامر انهُ اكتشف العلاج الشافي من هذا الداء الخبيث لكنهُ اتضح بعد البحث ان الفائدة كانت موقتة وان الاتوكسل قد يسبب كمنة (amaurosis) فعدل الاطباء عنهُ .

واتضح لهُ ان الذباب المعروف بذباب مرض النوم ينقل الداء الى الناس من التماسيح فاشار باهلاك التماسيح واتلاف الادغال حيث يكثر هذا الذباب. وهي الطريقة المتبعة الآن في مكافحة هذا المرض

﴿ الملاريا ﴾ وسافر ايضاً الى جاوى وملقة وبحث هناك في الحمى الملارية وعلاقة حمى البول الاسود بها وبالتسمم بالكينا

واقيل سنة ١٩٠٤ من رئاسة معهد الامراض المعدية ليمكنهُ التفرغ للبحث. واعلن امام موتمر التدرن الذي عقد في وشنطن سنة ١٩٠٨ انهُ ينوي تخصيص ما بقي من حياتهِ للبحث في التدرن والفصل في المسألة التي طرحها على موتمر التدرن في لندن قبل ذلك ثماني سنوات وهي علاقة التدرن البشري بالتدرن البقري . وكان يرجى منهُ نفع كبير للعباد لو فسح الله في اجلهِ

وكان عضواً في كثير من الجمعيات العلمية منها المجمع العلمي البروسي والجمعية الملكية في لندن. ونال جائزة نوبل سنة ١٩٠٥ جزاء اكتشافاتهِ الطبية. وكان يحمل وسامات الشرف من اكثر الدول الاوربية ومن جملتها فرنسا . ومنحهُ امبراطور المانيا لقباً من القاب الشرف ووسام الاستحقاق البروسي وهو الوسام الذي رفض باستور قبولهُ

توفي في السابع والعشرين من شهر مايو الماضي في بادن بادن وكان قد ذهب اليها مستشفياً من علة في قلبهِ . وارسلت جثتهُ الى مدينة همبرج واحرقت فيها حسب وصيتهِ . وقد ابّنتهُ الجرائد والمجلات الاوربية وعددت اعمالهُ ومناقبهُ . وسيبقى ذكرهُ مخلَّدًا في التاريخ بين عظماء الرجال الذين نفعوا نوع الانسان باكتشافاتهم مثل جنر مكتشف تطعيم الجدري البقري ولستر مكتشف مضادات الفساد وباستور واضع مبدإ التلقيح لشفاء الامراض او الوقاية منها ونحوهم

الانباءُ من عالم الاموات

يذهب السر اوليفر لدج وجمهور من العلماء الى ان انتقال الافكار (التلبثي) امر ثبت بالتجربة . اما نحن فان التجارب التي فرأْنا وصفها في كتابهِ لم تقنعنا لاننا نرى انهُ يمكن تعليل اكثرها بغير انتقال الافكار ومتى وقع الاحتمال بطل الاستدلال . فاذا تكرَّرت هذه التجارب وادَّت الى نتيجة واحدة كلها او اكثرها وهي ثبوت انتقال الافكار يكون الناس قد اكتشفوا ناموساً من النواميس الطبيعية لم يكن معروفاً من قبل وتتجه الانظار حينئذٍ الى تعليل ما يرى من ندرة الافكار التي تنتقل او ندرة الذين يشعرون بها

ولا يعلم حتى الآن كيف تنتقل الافكار من انسان الى آخر ان كانت تنتقل حقيقةً ولكن يظهر انها لا تنتقل بواسطة الاعصاب والعضلات ونحوها من اعضاء الجسم ولا بواسطة من الوسائط الطبيعية المعروفة

وقد حاول السر اوليفر لدج تبويب ما يدخل تحت انتقال الافكار من الحوادث الغريبة وقال ان هذا التبويب وقتي لا يعتد بهِ ولا يعتمد عليهِ الاَّ ريثما تتحقق هذه الامور وتتضح علاقاتها بعضها ببعض

ويدخل تحت انتقال الافكار شعور المرء بما يحدث لغيرهِ وهو بعيد عنهُ ولاسيما اذا فكَّر مَن حدثت لهُ الحادثة بمن انتقل اليهِ الفكر كما ترى في الحادثتين التاليتين

(الحادثة الاولى) حلم مدير معمل ان عاملاً من عمالهِ ظهر لهُ بوجه اصفر الى الزرقة وعلى جبهتهِ بقع كنقط من العرق وقال لهُ مراراً انهُ لم يفعل ما نسب اليهِ . وبعد قليل شاع ان ذلك العامل انتحر لكن مدير المعمل نفى هذه الاشاعة بناءً على الحلم الذي حلمهُ . ثم اثبت التحقيق ان العامل شرب الحامض النيتريك (ماء الفضة) خطأ وظهرت على وجههِ العلامات التي رآها المدير في حلمهِ فلم ينتحر انتحاراً كما شاع عنهُ

(الحادثة الثانية) شعرت امرأَة اسمها مسز بكت بانقباض شديد صباح الرابع والعشرين من شهر اكتوبر سنة ١٨٨٩ بعد ان خرج زوجها من البيت الى عملهِ وذهب اولادها الى المدرسة . ثم رأَت صورة اخيها واسمهُ ادمند دَن واقفاً في سفينة وكأَنهُ يحاول جذب حبلين احاطا برجليهِ ثم وقع واختفى من امام عينيها فغطت وجهها بيديها وقالت لقد غرق

ووصل تلغراف الى زوجها يومئذٍ من شيكاغو الساعة العاشرة والدقيقة الثلاثين يخبرهُ بغرق اخي زوجتهِ الساعة الثالثة صباحاً فعاد الى البيت مسرعاً وقال لها ان اخاك مريض وهو الآن في

مستشفى شيكاغو لكي لا يفاجئها بخبر موته مفاجأة . فقالت له بل غرق . وقد رأيتهُ يقع في الماء . ثم اخبرته انها رأته لابساً ثياب بحري حاسر الرأس وطرفا رجلي بنطلونهِ مقلوبان فتبين بطانتهُ ووصفت لهُ المكان الذي رأتهُ غرق فيهِ والثياب التي كانت عليهِ ولما قالت لهُ ذلك سافر الى شيكاغو ورأى المكان الذي غرق اخوها فيهِ واذا هو كما وصفتهُ لهُ وتحقق من البحارة انهُ كان لابساً الثياب التي رأتهُ فيها وانه اشترى بنطلوناً جديداً فوجدهُ طويلاً فقلب رجليهِ لكي لا يعيقهُ في المشي . وثبت من التحقيق انهُ كان في باخرة صغيرة تقطر السفن الداخلة مرفأ شيكاغو وفي الرابع والعشرين من اكتوبر الساعة الثالثة صباحاً كانت الباخرة تقطر سفينة صاعدة في النهر وبينما هو يحاول اصلاح وضع الحبل الذي يقطر السفينة وقع في الماء وغرق . واذا اعتبر الفرق بين وقت شيكاغو والمكان الذي كانت فيهِ اختهُ اتضح ان الخيال الذي رأتهُ ظهر لها في الوقت الذي وقع فيهِ وغرق كأنها رأتهُ بعين عقلها

ويقال ان رجلاً لم يذكر اسمهُ اراد مرةً ان يظهر خيالهُ لسيدتين من غير ان تكونا عارفتين بذلك فظهر ورأتاهُ في وقت واحد لابساً ثياب المساء وجائلاً في البيت كما تظهر الارواح الساكنة البيوت على ما يقول الذين يدعون انهم رأوها . اما هو فلم يشعر بشيء من ذلك

وقصص الارواح التي يقال انها تسكن البيوت اكثر من ان تذكر ولكنها لا تسلم من الريب وما من دليل قاطع على صحتها . والظاهر ان السر اوليفر لدج يميل الى تصديقها ولكنهُ لا يرى الادلة على صحتها كافية فلا داعي لذكر الامثلة منها

واستطرد السر اوليفر لدج الى ما حسبهُ تأثير الارواح بالاجساد او التأثير الآتي من العالم غير المادي الى العالم المادي ومن هذا القبيل ما يدَّعيهِ المستر ستد صاحب مجلة المجلاَّت الانكليزية من ان روح امرأة اسمها جوليا وروح ابنهِ المتوفى حديثاً تؤثران في يدهِ فتكتب اموراً لا تكون خاطرةً على بالهِ . وقد كتب كتاباً قال ان روح جوليا املتهُ عليهِ وحركت يدهُ حتى كتبتهُ . وقد ظن السر اوليفر لدج ان تهييج قريحة الخطباء والشعراء من هذا القبيل اي ان روحاً تؤثر في عقولهم فتوحي اليهم بالمعاني وتدلهم على الالفاظ المناسبة لها وهذا يطابق ما كان يعتقدهُ العرب في جاهليتهم من ان لكل شاعر شيطاناً يوحي اليهِ ما يقولهُ

ومن رأي السر اوليفر لدج ان هذا التأثير يكون على اشدهِ حينما يكون المرء في حالة الذهول او التجرُّد كما يقول الصوفية فالمستر ستد تتحرك يدهُ وتكتب وهو في هذه الحالة ومسز بيبر كذلك . والذين يحلمون الاحلام يكونون في حالة الذهول لان النوم من قبيل

الذهول فلا عجب اذا ادركوا اموراً لا يدركونها في يقظتهم او اذا اثرت فيهم عقول الاموات ولم تستطع التأثير فيهم في اليقظة . ومن امثلة ذلك القصة التي رواها الفيلسوف كنت والحقها بكتابهِ عن النوم المغنطيسي وهي

ان صائغاً طالب ارملة سفير هولندا في استوكهلم بثمن ادوات من الفضة كان زوجها قد اشتراها منهُ وكانت هي تعتقد تمام الاعتقاد ان زوجها دفع الثمن على جاري عادتهِ لانهُ لم يكن يبقي عليهِ ديناً ولكنها لم تستطع ان تجد الوصل الدال على دفع الثمن . وكان المبلغ طائلاً وهي ليست على شيءٍ من السعة فهمّها الامرُ جدًّا واستدعت سويدنبرج الباطني المشهور واعتذرت اليهِ عما حملتهُ من المشقة في مجيئهِ الى بيتها ثم قصّت عليهِ قصتها وقالت لهُ انها سمعت بمقدرتهِ الفائقة على استحضار ارواح الموتى والتكلُّم معها وتوسَّلت اليهِ ان يستحضر روح زوجها ويسألها عن طلب الصائغ فوعدها انهُ يفعل ذلك . وبعد ثلاثة ايام زارها وكان عندها جمهور من الناس وقال لها انهُ تكلم مع روح زوجها فعلم ان زوجها دفع الثمن قبل وفاتهِ ببضعة اشهر وانهُ وضع الوصل في بيرو في الغرفة العليا . فقالت لهُ انها فتشت البيرو فلم تجد فيهِ وصلاً فقال لها ان زوجها ارشدهُ الى المكان الذي فيهِ الوصل وذلك بان يفتح الدرج الايسر فيجد لوحاً يسحبهُ فيجد فوقهُ درجاً سريًّا والوصل فيهِ مع مكاتباتهِ الخصوصية ولما قال ذلك قام الناس كلهم وصعدوا معهُ الى الغرفة العليا وفتح الدرج وسحب اللوح فوجدت المكاتبات والوصل

فهذه الحادثة ان صدقت تعذَّر تعليلها بان عقل السفير اثر في عقل سويدنبرج وهو في قيد الحياة وبقي تأثيرهُ فيهِ الى ان طلب منهُ كشف هذا السر ولا تعلل الآ بان روح السفير اثرت في عقل سويدنبرج حينئذٍ

لكننا نرتاب في صدق هذه الرواية ونرجح انها موضوعة او ان لها اصلاً مخالفاً لها ثم تغير وتبدَّل كثيراً الى ان روي على هذه الصورة فانهُ يحتمل ان سويدنبرج حضر والناس في بيت امرأة السفير وقال لها اريني البيرو الذي كان زوجك يضع اوراقهُ فيهِ ثم فتحهُ واكتشف الدرج الخفي فيهِ والوصل المطلوب . وخرج بعض الحضور ورووا القصة على ما رواها كنت ولاسيما اذا كانوا من المعتقدين ان في سويدنبرج قوة تفوق المألوف

وقد اراد المستر ميرس ان يمتحن تأثير ارواح الاموات بالاحياء امتحاناً ينفي الريب فكتب شيئاً في رسالة ووضعها في ظرف واقفلهُ وسلمهُ للسر اوليفرلدج لكي يفتح بعد وفاتهِ وبعد ان يحاول الوسطاء معرفة ما فيهِ . وكان ذلك في اول سنة ١٨٩١ فجعل الوسطاء ينبئون بما كتبهُ ميرس ويدَّعون ان الارواح كانت توحي اليهم ذلك وتحرك ايديهم

الى كتابتهِ لكن اقوالهم كانت مبهمة غير محدودة الاَّ اقوال مسز ڤرول فانها كانت محدودة فبعث السر اوليفرلدج الى جماعة من العلماء والفضلاء الكتاب التالي في دسمبر سنة ١٩٠٤

ارجح انكم تعلمون ان ف . و . ه . ميرس ترك في يدي ظرفاً فيهِ رسالة كتبها لكي ينبئ احد بما فيها بعد موتهِ ان امكن بارشاد روحهِ

وتعلمون ايضاً ان مسز ڤرول صارت يدها تكتب على غير ارادتها بعد وفاة ميرس وهي تعتقد الآن انها أُنبئت بما في الرسالة التي كتبها ميرس. وقد تكون مخطئة في اعتقادها هذا ولكن يحسن تحقق قولها لانهُ محدود وهي تستطيع ان تكتب ما تعتقد انها أُنبئت بهِ عما في الرسالة . ولما رأيت الامر كذلك استشرت بعض اهل الرأي فرأيتهم مجمعين على انهُ حان الوقت لفتح الظرف المشار اليهِ والاطلاع على الرسالة لنرى هل ما تدَّعيهِ مسز ڤرول مطابق لما فيها او غير مطابق

والظرف مودع في احد البنوك ومرادي ان اخذهُ منهُ وآتي بهِ الى لندن يوم الثلاثاء في ١٣ دسمبر ونجتمع في دار جمعية المباحث النفسية الساعة الرابعة بعد الظهر ونطلع على ما تكتبهُ مسز ڤرول ثم نفتح الظرف ونقابل بين الرسالة التي فيهِ وما كتبتهُ . ولم اشأ ان نفعل ذلك في اجتماع رسمي من اجتماعات الجمعية لكي يحضر اجتماعنا اناس من غير اعضائها فلا يبقى سبيل للشك ولذلك ادعوكم الى دار الجمعية يوم الثلاثاء في ١٣ دسمبر الساعة الرابعة بعد الظهر . ومن المعلوم انهُ لا يجوز نشر شيء مما يحدث في هذا الاجتماع الاَّ برضى الجمعية او مجلس ادارتها

وعُقد الاجتماع المشار اليهِ وكتبت مسز ڤرول ما تعتقد انها أُنبئت بهِ او أُوحي اليها مما في رسالة ميرس ثم فتح الظرف وقرأَت الرسالة التي فيهِ فلم يكن بينها و بين ما كتبتهُ مسز ڤرول اقل مشابهة فحبطت هذه التجربة حبوطاً تاماً . قال السر اوليفر لدج انها لو لم تحبط لما اثبتت لنا انتقال الافكار من عالم الاموات الى عالم الاحياء لانهُ يحتمل ان مسز ڤرول قرأَت ما في الظرف او شعرت بما فيهِ بقوة عقلية فائقة فيها كما يفعل الذين ينوّمون النوم المغنطيسي اذا ثبتت صحة ما يفعلونهُ او انها رأَت ما فيهِ باشعة من نوع اشعة رنتجن التي تخترق الاجسام غير الشفافة

ومن اغرب ما ذكرهُ السر اوليفرلدج ان سيدة من تلميذاتهِ البارعات في العلوم الرياضية كانت تمتحن الكتابة بالبلنشت وهو لوح في شكل القلب قائم على ثلاث ارجل احدها قلم

دقيق من اقلام الرصاص يضع الممتحنون اكفهم على هذا اللوح فيتحرك قليلاً ويكتب قلمهُ على ورقة تحتهُ كأَن اكف الممتحنين تكتب متحركة بالهام من روح تلهمها. قالت تلك السيدة اننا كنا نسأَل اللوح عن اسم الروح التي تحركهُ فيقول ان اسمها جم وانها روح رجل كان من ابرع تلامذة مدرسة كمبردج في العلوم الرياضية فسأَلناهُ ان يكتب لنا العبارة الجبرية الدالة على رسم اللوح اي على الرسم القلبي فكتب هذه العبارة الجبرية ر = (ا جـ ث)/(ث) فجعلت ارسم رسماً ينطبق على هذه العبارة فكان الرسم شبيهاً بالقلب. ثم اتيت بالعبارة الى استاذ الرياضيات فرسم بها رسماً شبيهاً بالرسم الذي رسمتهُ وانا متأَكدة انني لم ارَ هذه العبارة قبلاً ولا رأيت رسماً شبيهاً بالرسم الذي يرسم بها. وراجعت كتبي والملاحظات التي كنت اكتبها عن خطب الاستاذ فلم اجد تلك العبارة فيها فان كان دماغي قد اتصل الى كتابة هذه العبارة من معلوماتي فيكون قد فعل ذلك وانا لا ادري والعبارة التي تذكر في كتب الرياضيات للشكل الشبيه بالقلب هي ر = ا (١ × ي ث)

قلنا ان روح ميرس لم تنبئ مسز ڤرول بما في الرسالة التي كتبها ميرس قبل وفاتهِ مع ان مسز ڤرول ادعت ان الروح انبأَتها بذلك ومن رأي السر اوليڤر لدج ان روح ميرس قد تكون نسيت ما كتبتهُ في تلك الرسالة ولكنهُ اورد نوادر غريبة يستدل منها على ان الارواح لا تحتاج الى الذاكرة بل تفتح الكتب وترى ما فيها وتنبئ بهِ. من ذلك ان وسيطاً اسمهُ ستنتن موسى من اساتذة مدرسة لندن الجامعة كان يدَّعي ان يدهُ تكتب بارشاد الارواح وكان مرة في مكتبة الدكتور سبير فجرى بينهُ وبين الارواح الحديث التالي وكان هو يتكلم ويدهُ تكتب اجوبة الارواح لهُ

ستنتن للروح — اتعرف تقرأُ

كلاَّ يا صاح ولكن زكريا غراي وركتور يعرفان اما انا لا استطيع ان اتجسَّم ولا سلطة لي على العناصر

ستنتن — هل هذان الروحان هنا

ساحضر لك واحداً منهما . . . . حضر ركتور

ستنتن — أُخبرت انك تقرأُ فهل ذلك صحيح

فتغيَّر الخط وكتبت يدهُ . نعم اقرأُ بصعوبة

ستنتن — اكتب لي السطر الاخير من الكتاب الاول من الانيد[١]

فكتبته يده باللاتينية صحيحاً

ستنتن - اصبت ولكنني انا اعرفه اذهب الى المكتبة وخذ الكتاب الذي قبل الاخير من الرف الثاني واقرأ الفقرة الاخيرة من الصفحة الرابعة والتسعين فاني لا اعرفها ولا اعرف الكتاب ولا اعرف اسمهُ

فكتبت يده بعد مدة وجيزة « سابين بالايجاز من الروايات التاريخية ان البابوية بدعة نشأت ونمت بعد اتحاد الكنيسة بالحكومة في زمن قسطنطين »

وأخرج الكتاب فاذا هو كتاب قديم لرجز ضد البابوية والعبارة واردة فيهِ كما كتبتها يد ستنتن الاَّ كلمة روايات فانها في الاصل اخبار

ستنتن — كيف اهتديت الى هذه العبارة

لا اعلم يا صاح ولكنني عثرت عليها بالاتفاق وقد ابدلت الكلمة خطأ وعرفت ذلك ولكني لم ارد اصلاحها

ستنتن — يظهر انك اسرع في القراءة منك في الكتابة لانك تكتب وتقف ثم تكتب ثم تقف

كلاَّ ولكني اكتب ما اتذكر ثم اعود الى الكتاب واني استصعب القراءة ولا نستسهلها الاَّ في احوال خصوصية وسأقرأُ ايضاً واكتب ما اقرأهُ ثم ارشدك الى الكتاب . « ان بوب آخر شاعر من الشعراء العظام الذين نشأوا في العصر الماضي شعراء العقل او شعراء العقل والخيال » اذهب وخذ الكتاب الحادي عشر من الرف نفسهِ فاخذتهُ واذا هو كتاب (الشعر والادب والروايات) وهو ينفتح من نفسهِ حيث توجد هذه العبارة فاقرأ واعرف مقدرتنا التي وهبنا اياها الله العظيم لنريك سلطتنا على المادة لهُ المجد الى الابد . قال ستنتن وانفتح الكتاب عند الصفحة ١٤٥ وفيهِ العبارة المذكورة آنفاً ولم اكن قد رأيتهُ ولا كنت اعلم موضوعهُ . وقال ميرس ان هذه الكتب كانت في مكتبة الدكتور سبير

(ستأتي البقية)

---

(١) Æneid الرواية الشعرية الشهيرة التي نظمها فرجيليوس

الدكتور شميل وفلسفة النشوء

ظهر كتاب الدكتور شميل في فلسفة النشوء والارتقاء منذ شهرين تقريباً فاستقبلتهُ الصحافة العربية استقبالاً لا يخرج عن المألوف ولم يتصدَّ لانتقادهِ الاَّ القليل منها مع ان الكتاب من المباحث الخطيرة التي تشغل اليوم علماء الغرب ولصاحبهِ شهرة طائرة في عالم الادب والطب وقد قضى في خدمة القلم ثلاثين سنة يكتب و يؤَلف و ينظم في مواضيع شتى من علم وسياسة واجتماع . وهو ممتاز باستقلال في الرأي وجرأة في الكتابة وغيرة حقيقية على نشر مبادىء العلم الصحيح والاصلاح العمراني . وقد بحثت عن السبب في هذا التقصير اوالتغاضي من حملة الاقلام فوجدتهُ غموض هذا العلم على السواد الاعظم من قرَّاء العربية وجرائدنا كما تعلم تسعى في افادة قرائها ولكنها تسعى قبل ذلك في ارضائهم وليست المسائل العلمية مما يرضي القارىء في جنب ما تقدمهُ لهُ الروايات والاخبار السياسية من التفكهة والسرور

وما احاول تبرئة الكتبة من هذا الفتور الحاصل بين القراء والمطالعات العلمية فاي فضل لهم وهم قادة الافكار اذا لم يكن فيهم من يعرف ان يحبب الى القارىء ما يكتب فيحجمون امام المسائل العلمية خوفاً من غموضها وعجزاً عن وضعها في اسلوب جديد يقرب الاقصى ويزيل الاشكال و يدفع الملل . ولولا المقتطف وهو مجلة العلم الوحيدة والهلال الذي لا يخلو من الاخبار العلمية لكان قراء العربية في معزلٍ تام عما تلد ادمغة الرجال وتخلق حركة العلم الدائمة في بلاد الصنائع والفنون

على ان الدكتور شميل تلافى هذا السبب لان الكتاب الذي اختار تعريبهُ شرحاً لمذهب دارون صريح البيان بسيط الاسلوب فضلاً عن ان لغة المعرب جامعة بين فصاحة التركيب ورشاقة التعبير وانشاؤهُ سهل المأخذ قريب المنال وهو لم يقف فيهِ عند حد الترجمة بل ذيلهُ برسالة بليغة خطها رداً على منتقديهِ وزاد عليهِ مقدمة جمع فيها بين تخيل الشاعر ونظر الفيلسوف ثم اضاف اليهِ في الطبعة الجديدة مقدمة ثانية فلسفية وخاتمة لا تقل عن المقدمة فصاحة وتمحيصاً للحقائق على وجه التعميم

وقد كنت قرأت الطبعة الاولى لشرح بخنر وانا حديث السن فوجدت من النفس ارتياحاً ان اعود اليهِ بعد مرور ١٥ سنة وزاد سروري انهُ لم يخلُ من طلاوة الجديد على قدمهِ فضلاً عما جرى بهِ يراع المعرب السيال في المقدمة التي تمثل لك تاريخ الانسان في طريق العلم منذ خطا الخطوة الاولى اليهِ وانصرافهُ في درس الشرائع والآداب الى غاية غير

عملية قبل ان يميل نحو الفلسفة ودرس شرائع الطبيعة ثم تظهر فضل العلوم الكونية في ارتقاء الصنائع والفنون وكسر قيود الاستعباد السيامي والديني وتمشي الانسان نحو حكم عادل جمهوري بتطبيق مذهب النشوء على كل ما في الخليقة . وقد انتهى فيها وهو الطبيب الى فضل هذا العلم على الطب باطلاق نواميسه عليهِ ومرَّ في كلامهِ على ذكر المناعة وعلاقتها بانواع الميكروب وتبايناتهِ . وابدى رأياً لم يسلم من الانتقاد والرد (راجع مقتطف مايو و يوليو) والظاهر من كلامهِ انهُ يعلق اهمية كبرى على هذا التقسيم ليبني عليهِ تعليلاً لا يخلو من الجسارة مع ان بخنر نفسهُ يقول انهُ يصعب التمييز بين الانواع والتباينات . وهيكل ينصح بعدم تضييع الوقت بتعظيم هذا الفرق فما التباينات الاَّ « انواع في حال النشأة » . ورب صفة البستها للنوع لثبوتها ثم بدت لك متغيرة فنزعتها عنهُ . فضلاً عن ذلك فاية فائدة عملية من وراء هذا ونحن نعلم اليوم الخطة التي انتهجها علم البكتريولوجيا في ايجاد المناعة . وقد عد الدكتور مكروب السل من الانواع الاشد ثبوتاً فما قولهُ بسل العصافير وسل الاسماك وسل البقر ؟ واستشهد على ثبوتهِ بعدم شفاء الداء مع ان حوادث شفائهِ غير نادرة وفي التشريح بعد الموت ما يدفع كل ريب . وقد جاء في الفقرة التالية من كلامهِ على اكتشاف مصل شاف واقٍ لكل داء انهُ يجب ان يكون ممكناً في الطاعون والكوليرا واظن هذا الخطأ من المطبعة لان مصل الطاعون الشافي والواقي معاً موجود منذ سنين

وفي هذه الطبعة الجديدة لشرح بخنر تعليقات كثيرة للمؤلف العجبني منها بوجه خاص ذكرهُ راي كوستاف لبون في تلاشي المادة لانهُ رأي خطير قبل بهِ العلماء اليوم و ينتظر منهُ حركة جديدة في الاكتشافات الكيماوية خصوصاً والعلمية عموماً

ولا يخفى ان مذهب النشوء والارتقاء لم يتقدم كثيراً من ٥٠ سنة الى اليوم بشهادة انصارهِ عينهم ولكنهُ انتشر في اطراف البلاد المتمدنة وانضم اليهِ كثير من اهل العلم لانهُ اماط الحجاب الكثيف عن اسرار هذا الكون الواسع من عالم النجوم الى طبقات الارض الى الحياة الى العقل والاجتماع . وليس كل علماء التحول يعتقدون بالاختيار الطبيعي الذي وضعهُ دارون تفسيراً لمذهب لامارك قال كوستاف لبون « لا برهان على ان التحول يتم بالاختيار وربما صح اكتساب الصفات الخصوصية بغير التجمعات الوراثية عقباً في عقب ولكن هذا لا يهم فان العالم الذي انهضهُ دارون قد نهض وامكان التحول بوسائط طبيعية امر مقرر زعزع من اساسهِ مبدأ القائلين بالخلق » . ولا ريب ان افكار العلماء قد ارتقت بفضل هذه النهضة والبحث المتواصل لم يكن عقيماً وما جدَّ فيهِ على قلتهِ يزيدهُ رسوخاً وايضاحاً من ذلك التحول

الفجائي للعالم الهولاندي ده فريس وقد ذكرهُ المقتطف في حينهِ وبعض الاحافير المكتشفة حديثًا وامتحانات جديدة في علم البيولوجيا . اما التحول الفجائي فهو يوضح اشكالاً عظيماً ويزيل تناقضاً كبيراً لا يسلم منهُ القول بالتحول البطيء التدريجي كما يظهر لك من حساب الوقت اللازم لنمو الحياة فقد تساءلوا كم يقتضي من الزمن لتصير البقعة الملونة عيناً بشرية بهذا اللطف في البناء او لتتحول العقدة الاولى الى دماغ ذوات الثدي فوصلوا الى ارقام هائلة لتحديد مدة الحياة تجاوزوا بها ثلاثمئة مليون سنة وهذا مناقض لآراء الطبيعيين والجيولوجيين لانهم يقولون ان الارض مهما طال عليها القدم فهي لم تبلغ هذا العمر . وقد ذكر داروين عن جعلان جزيرة ماديرا ان غالبهُ لا يطير لنقص في جناحيهِ وعلل ذلك بالاختيار الطبيعي وما يحصل من الضرر بسبب الامتياز وذلك ان ما كان منهُ قادراً على الطيران تسوقهُ الريح وتلقيهِ في البحر فيهلك ولا يبقى الاَّ العاجز فينتقل تكوينهُ الى نسلهِ الخ (راجع صفحة ٩٨ من كتاب فلسفة النشوء والارتقاء) غير ان مشنكوف تفرغ وهو في تلك الجزيرة لجمع جثث الجعل المطروحة في البحر وقاس اجنحتهُ باجنحة الحي الذي لم يخاطر بحياتهِ في الطيران فلم يجد ادنى فرق ولذلك يظن انهُ يمكن التعليل عن نقص الجناح في بعض هذه الجعل بالتحول الفجائي على مذهب ده فريس

واما الاحافير فاهمها ما وجدهُ ثلاثة من الرهبان مؤَخراً في «شابل اوسن» وقد ظن العلماء قبلاً انهم اهتدوا الى ضالتهم المنشودة بالبقايا التي اكتشفها «اوجين ديبوى» سنة ١٨٩٤ في جزيرة جاوى تحت انقاض البراكين الهامدة على ضفاف نهر بانكانان وهي مؤلفة من جمجمة وعظم فخذ وسنين من الطواحن . وقد حاروا يومئذٍ في تسمية هذا الحيوان الجديد فقال بعضهم انسان يشبه القرد وقال اخرون بل قرد يشبه الانسان ووفَّق مكتشفهُ بين الفريقين فسماهُ الانسان القردي الاَّ ان بعض العلماء ومنهم فرشو انكروا كون هذه البقايا هي لجسم واحد فبقيت الحقيقة ضائعة والحلقة مفقودة ولا يزال التحقيق جارياً هناك الى اليوم للعثور على جثة كاملة تكون فصل الخطاب . ولكنَّ التقرير الذي قدمهُ «بول» استاذ علم الاحافير الى الانستيتو سنة ١٩٠٨ بشأن احفور «شابل اوسن» كان لهُ صدى عظيم وهو هيكل غير كامل لرجل عجوز عاش في الطور الرباعي المتوسط طولهُ لا يتجاوز متراً وستين سنتمتراً وجمجمتهُ كبيرة ضخمة تدل ملامحها على التوحش وتشبه جمجمة «فندرتال» ويستنتج الاستاذ بول انها تمثل صنفاً قائماً بنفسهِ ادنى الى القرد منهُ الى الانسان ويضعهُ بين الحيوان الذي اكتشفهُ ديبوى واعرق السلائل البشرية في الهمجية . والذي يهم ذكرهُ ان هذا

الهيكل الناقص وجد في حفرة والرأس مسند الى كومة من الحجارة مما يدل على انهُ دُفن دفنًا فاكرام الموتى موجود في ذلك الطور وهذا اسطع دليل على انهُ انسان . فاذا صحّ كل هذا فقد تمت نبوة شفنهوزن وجورج بوشه الواردة في شرح بخنر (صفحة ١٤٨)

واما امتحانات البيولوجيا فاولها ما يسمونهُ المرسّبة précipitine وقد ورد ذكرها في المقتطف لحضرة الدكتور ابي خاطر نقلاً عن كتاب متنشكوف في « الطبيعة البشرية » وثانيها ما ذكرهُ « بوشنز » الالماني انقلهُ على علاتهِ « اذا اخذت نقطة من الدم ونظرت اليها من خلال المكبرة رأيتها مؤلفة من سائل وكريات سابحة في ذلك السائل فهذه الكريات تختلف حجماً وشكلاً باختلاف الحيوان ولا يمكنك ان تمزج دم حيوان بدم حيوان اخر من غير نوعهِ دون ان تضر بهذه الكريات وتتلفها عن اخرها فاذا اخذت ارنبًا مثلاً وحقنتها بدم هر فقد اضرمت حربًا عوانًا في تلك الارنب تظهر حالاً اعراضها فيها فترتعش اعصابها وتنتفض مفاصلها وتستولي عليها تشنجات هائلة و يعاجلها الهلاك عن مدى حياتها . ولكن لهذا الامتزاج واضراره حدٌّ يقف عندهُ فدم الهر لا يقتل الهر والحيوانات القريبة النسب لا تتأذى من هذا الاختلاط كالكلب والذئب او الحصان والحمار . وقد ارتاى عالم من برلين اسمهُ « فريدانتال» ان يمزج دم القرد بدم الانسان فكانت النتيجة مختلفة بحسب مرتبة القرود في الارتقاء فان دم الانسان اذا مزج بدم القرود الدنيئة كان سمًا بل ناراً آكلة واذا مزج بدم الشمبانزي كان برداً وسلاماً مما يدلك على وجود « قرابة دم » حقيقية بين هذا وذاك

واراني قد بعدت في سرد الشواهد فاسأل القارىء المعذرة واعود بهِ الى كتاب الدكتور شميل لاقول ان هذا الكتاب عزيز المذهب جم الفوائد خليق بان يكون في كل مكتبة وفي كل صدر وقد حق علينا الشكر للمؤلف لهذه الخدمة التي افاد بها قراء العربية والتي لا يدرك صعوبتها الاَّ من عانى الكتابة في هذه المواضيع الوعرة . وقد قرأت الكتاب حتى اتيت على آخره واعدت قراءة الخاتمة البديعة التي جعلها لهُ كالطراز المعلم وكدت اطبق الكتاب وانا مأخوذ بما فيها من سحر البيان لولا اعتراض عنَّ لي على بعض ما جاء فيها . فوقفت مستوقفًا معي صديقي الدكتور ليساعدني في رد حملتهِ المنكرة على كتاب الادب والرومان . يقول حضرتهُ ان الرومان تبذير لقوى الاجتماع وتضليل للعقل في آن واحد وليس هو من منتجات العقول الراقية في شيء واني اوافقهُ على ذلك اذا كان المقصود منهُ ما كان مفسدة للاخلاق ومثالاً للتهتك او ما لم يكن فيهِ غير ضرب وقتل وسرقة واحتيال كروكامبول واشباههِ واكثر ما ينشر في ذيل الجرائد اليومية والاَّ فاني اعتقد ان ما يسميهِ سيلاً جارفًا هو

الحافظ لجمال الفكر والفن من هندسة ونقش وموسيقى وشعر وهو الذي يؤثر في تربية الشبيبة والاجتماع و يشد الصلات بين طبقات الشعوب و يحمل مصباح العلم الى اقصى المعمور فهو لا ينافي العلم ولا يقف عثرة في سبيلهِ بل يمشي واياهُ جنباً الى جنب · ان قوة التصور والخيال التي تنتج مثل هذه الكتب المسماة بالرومان هي كتألق المعادن اشعاع الفكر البشري على الاطلاق فكما ان اندفاع ذرّات النور لا ينحصر بالراديوم بل هو اليوم من خصائص كل جسم اذا فعلت فيهِ المؤثرات اللازمة فالخيال والتصور من صفات كل دماغ وقد وافق الانسان من قبل ان يعرف الكتابة فكان يدفعهُ الى تصوير افكارهِ وترجمة شعورهِ على الهيا كل المنقوشة والتماثيل المنحوتة وفي النغمات الصاعدة من قلبهِ واوتارهِ · ولما انفتح امامهُ طريق الكتابة والطباعة اندفق هذا السيل منصرفاً الى الورق يرسم عليهِ ما يدور في تلك الجمجمة الصغيرة من جمال واحلام مبتدئاً بالجن وما يلابسهُ من الاوهام منتهياً بالحقائق التي قررها العلم في هذه الايام · ولولا قوة الخيال والتصور لما قدر نيوتن على اكتشاف الجاذبية و باستور على توهم المكروب قبل الوصول اليهِ ولا فواز يه على وضع دعائم الكيمياء الحديثة وكثير من العلماء لضعف هذه القوة او كمونها فيهم مروا من امام المخترعات ولم ينتبهوا اليها وكما حملت هذه القوة على اجنحتها مثل اولئك الفحول في طريق الاختراع تحمل غيرهم في طريق آخر فيكون منهم كتبة اجتماع نظير « هيكو » و « ستاندل » و « بورجه » وادب كرود وجمال كبارس وفرومانتن ورقة كمدام ستيل وفلسفة كاناتول فرنس وتخلق لك مصورين مثل بلزاك وطبيعيين مثل ادم و بريڤوست وفسيولوجيين مثل فلوبرت وزولا وموباسان · ومن يدري اذا لم يكن هذا نوعاً من توزيع العمل تجري احكامهُ على العالم العقلي ايضاً الاَّ اذا كان حضرة الدكتور يريد ان يكون كل الناس علماء طبيعة وكيمياء وجيولوجيا

وعندي ان الرومان كما هو اليوم طريقة يتمرن بها العقل على التخيل كالشعر والروايات التمثيلية فاذا حاولت ان تبطل هذه الرياضة فقد ضغطت على العقل وقصصت جانحيهِ فلا نورث اولادنا في مستقبل السنين الاَّ دماغاً بطيئاً وعقلاً متثاقلاً لا قدرة لهُ على التحليق كالنسر لاستكشاف آفاق جديدة من هذا العالم المجهول

والدكتور نفسهُ مقيد بقوة هذا الخيال يندفع بهِ من حيث لا يدري فيأتي بالشعر المنثور والنثر المنظوم ويحاول ان يسن لنا شرائع الاجتماع البشري في لغة الآلهة وتراهُ وهو الذي يقول عن نفسهِ انهُ لا يلبس القفاز (الكوانتي) كرهاً للتقيد يتقيد عن رضى بقافية من مثل « ضغنوا » و « ثفنُ »

فالدكتور شميل شاعر واديب من قبل ان يكون طبيباً وفيلسوفاً عمرانياً ومتى قرأت كتابهُ الثاني الذي سيصدر عن قريب وفيهِ صفوة ما كتب في الطب والادب واطلعت على ما فيهِ من التصورات السامية والمواضيع المختلفة مفرغةً في قالب من الانشاء جديد لا يعرف التعقيد ولا التقليد اعجبت بهذا الاقتدار النادر في خلق المعاني وتصورها وتنسيقها وايقنت مثلي ان الدكتور شميل نابغة في الشرق لو قدّر لهُ ما لعلماء الغرب من مصانع كيماوية ومعامل زيولوجية يقرن بها العلم بالعمل والدرس بالاختبار لكان من المخترعين ولأضاف اسمهُ الى قائمة الذين يذكرهم في كتابهِ ويستشهد بهم في جدالهِ ويمشي على اثرهم في اقوالهِ

بقي لي كلمة في ختام هذا الحديث اسرُّها للقارىء الكريم وهي ان مذهب التحول علم قد تأيدت دعائمهُ والانسان لم يمنعهُ اصلهُ الحيواني ان يكون كما هو وليس في استطاعة احد ان ينزع منهُ آمالهُ واحلامهُ. والذي في قلبهِ ايمان حقيقي لا يتألم اذا عرف انهُ في زمن من الازمان لم يكن جدهُ يحمل فقط على اكتافهِ جلد حيوان كما يفعل بعض المتوحشين اليوم بل كان هذا الجلد لاصقاً ببدنهِ. لم يمت الشعر لان الشمس لم تعد تطلع حقيقةً من المشرق لم يمت لاننا عرفنا ان الارض تدور حولها والاحساس الديني انساني بأرقى معاني الكلمة فلا تزيلهُ معرفة الانسان تاريخهُ القديم وما هذه المعرفة سوى انتصار للعقل البشري لانهُ بعث من رمسهِ العميق ذلك الماضي المدفون منذ ملايين من السنين

الدكتور
نقولا فياض

بابُ تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

اللحم وطبخهُ

قوام الطعام اربعة اصناف وهي: المواد النتروجينية كاللحم الهبر والمادة الصمغية في القمح. والمواد الدهنية والزيتية. والمواد النشائية والسكرية. والمواد المعدنية كبعض الاملاح. وكلها موجودة في اللبن فهو كافٍ للتغذية وحدهُ. اما اللحم فمؤلف من ثلاثة اصناف من هذه

المواد فقط و ينقصهُ الصنف الثالث اي المواد النشائية والسكرية . واهم المواد التي فيهِ هي المواد النتروجينية التي يؤلف منها اللحم الاحمر ثم المواد الدهنية ثم المواد المعدنية وهي املاح البوتاسا والحديد . وسنذكر للقراء بعض العلامات التي يميز بها اللحم الجيد ثم نورد شيئًا عن طرق طبخهِ واختلافها بعضها عن بعض في فائدتها

صفاتهُ

الدهن . يجب ان يكون مقدارهُ كافيًا لكنهُ اذا زاد كثيرًا نقصت المواد النتروجينية وهي قوام التغذية في اللحم . ويجب ان يكون مجتمعًا لا لينًا كالهلام. وان يكون خاليًا من الدم قليل الاصفرار . ويختلف لون الدهن باختلاف نوع العلف واختلاف سن الحيوان فهو ابيض في العجول الصغيرة اصفر في الاناث والثيران

اللحم الاحمر . يجب ان يكون مكتنزًا مرنًا لا رخوًا ولا قاسيًا صلبًا . وهو رطب ضارب الى البياض في صغار الحيوانات احمر قاتم في كبارها واليافهُ فيها خشنة ضخمة وتزداد هذه الخشونة في الحيوانات التي تشغل بالحرث او تسير مسافات طويلة في طلب الكلاءِ . واذا وضع اللحم الجيد في صحن وترك بضع ساعات جف قليلاً وخرج منهُ عصير احمر . وهو حلو الطعم تنبعث منهُ رائحة زكية متى وضع على النار للطبخ

ومتى بدأ فيهِ الانحلال او الفساد سهل فصل اليافهِ بعضها عن بعض وابيضَّ وتغير قوامهُ فصار رخوًا لينًا . ويجب الانتباه الى معرفة الفرق بين اللحم في اول ظهور الانحلال و بين لحم صغار الحيوانات فانهُ يكون فيها لينًا ضاربًا الى البياض كما مر . ويعرف الانحلال ايضًا في اوَّل ظهورهِ بادخال سكين فيهِ فاذا كان اللحم جديدًا كانت مقاومته واحدة واذا كان الانحلال قد بدأ فيهِ صارت بعض اجزائهِ رخوة فتكون اقل مقاومة من غيرها

وفي اللحم ١٧ الى ٢٠ في المئة من العظم ونسبتهُ الى اللحم تقل في الحيوانات السمينة وتزيد في الهزيلة

الكبد والطحال والرئتان والكليتان . يجب فحصها جيدًا لئلاَّ يكون فيها ديدان او درن واذا كان الطحال متضخمًا وجب الامتناع عن اكلهِ

الامراض التي تصيب الانسان من اللحم

اللحم الفاسد قد لا يؤْذي آكلهُ مطلقًا لكنهُ في بعض الاحيان يسبب هيضةً وانحطاطًا شديدًا . و بعض انواع اللحم المحفوظ في العلب يسبب اعراضًا كهذه بسبب تولد نوعٍ من السم فيهِ . والحيوانات تصاب بامراض كثيرة وقد يكون لحمها سببًا لانتقال هذه الامراض الى

الانسان كالديدان والبثرة الخبيثة والتدرن وغيرها على ان الاطباء مختلفون في بعض هذه الامراض والافضل الامتناع عن اكل لحوم الحيوانات المصابة باي داءٍ كان

طبخ اللحم

الطبخ يجعل الطعام لذيذ الطعم سهل الهضم ويزيل منهُ بعض المواد المؤذية كالجراثيم المرضية ويغيّر قوامهُ وتركيبهُ فيسهل مضغهُ وهضمهُ . فاذا طبخنا قطعة من اللحم مثلاً جمد الزلال الذي فيها وتحوّل النسيج الخلوي الذي بين العضلات الى مادة جلاتينية لينة وتفككت اجزاؤُها فسهل مضغها وهضمها . وطبخ اللحم يقسم الى ستة انواعٍ رئيسية وما بقي يتفرّع منها وهي السلق والتحمير (الروستو) واليخنة والشيّ والقلي والطبخ بالفرن

السلق . والغاية منهُ اما حفظ المواد المغذية في اللحم او استخراجها منهُ الى المرق . فاذا اريد الاوّل وجب قطع اللحم قطعاً كبيرة ووضعها في الماء الغالي دفعة واحدة فتجمد المواد النتروجينية على سطح اللحم ويتكوَّن بذلك طبقة جامدة تمنع خروج المواد التي فيهِ . ثم تخفف النار بعد بضع دقائق ويترك اللحم في الماء على نار خفيفة الى ان ينضج

اما اذا اريد المرق الجيد المغذّي فيجب قطع اللحم قطعاً صغيرة جدًّا فتكثر بذلك سطوحهُ التي تتصل بالماء ثم يوضع في ماءٍ بارد حتى لا تجمد المواد النتروجينية التي فيهِ ويوضع على نار خفيفة فتخرج منهُ اكثر كمية يمكن اخراجها من المواد المغذية وتمتزج بالماء

اليخنة . يختلف عمل اليخنة عندنا وعند الافرنج فنحن نحمّر اللحم قليلاً قبل وضعهِ مع الخضر وهم يضعونهُ بلا تحمير فاليخنة عندهم نوعٌ من السلق فيخرج من اللحم بعض المواد التي فيهِ وعندنا نوع من التحمير مع السلق فتبقى اكثر المواد في اللحم

التحمير (الروستو) . وهو المعوّل عليهِ عند الانكليز . واللحم المحمَّر اصعب هضماً من المسلوق لكنهُ يفوقهُ في لذة الطعم فان اكثر موادهِ تبقى فيهِ لانهُ يقطع قطعاً كبيرة فيتكون على سطحهِ طبقة متجمدة من المواد النتروجينية تمنع خروج شيءٍ منهُ

الشيّ والطبخ بالفرن . يشبهان التحمير في المبدإ لكن اللحم في الشيّ يقطع قطعاً صغيرة

القلي . ويعوّل عليهِ كثيراً في بلادنا فيقطع اللحم قطعاً صغيرة تقلى بالدهن او السمن فيتخلّلان جميع اجزائهِ ويجعلانهِ عسر الهضم لاسيما وان الدهن والسمن يغليان على درجة فوق درجة غليان الماء فيعرضان اللحم بذلك الى درجة مرتفعة من الحرارة فيصير هضمهُ عسيراً ولكن اذا أُكل القليل منهُ اداماً مع الكثير من الخبز فانهُ يتجزأُ بالمضغ ولا يعود هضمهُ عسيراً لاسيما وان مقدارهُ في الطعام يكون قليلاً

ازالة النمش

للنمش ادوية كثيرة تزيلهُ ثم يعود في غالب الاحيان. وبعض هذه الادوية بل اكثرها سام لدخول السليماني فيها لكن لا بأس باستعمالها مع الانتباه. وهاك بعضها والمقادير بالموازين الانكليزية

سليماني	١٢ قمحة
حامض هيدروكلوريك نقي	٣ دراهم
لوز مرّ	اوقية ونصف
غليسرين	اوقية
صبغة البخور الجاوي	درهمان
ماء زهر النارنج	كمية كافية

اذب السليماني في ثلاث اواقي من ماء الزهر واضف اليهِ الحامض الهيدروكلوريك وضعهُ جانباً. ثم خذ اللوز المرّ واقشرهُ واسحنهُ في هاون صيني واضف اليهِ الغليسرين وامزجهُ بهِ جيداً فيصير بقوام العجين. ثم اضف اليهِ وانت تحرّكهُ بيد الهاون تسع اواقي من ماء الزهر فيصير مستحلباً فاضف اليهِ صبغة البخور نقطة فنقطة ثم محلول السليماني المذكور آنفاً ثم كمية كافية من ماء الزهر حتى يصير كلهُ ستة عشر اوقية طبية

يدهن الوجه بهذا الدواء كل مساء قبل النوم

غيرهُ	سليماني	ست قمحات
	حامض هيدروكلوريك نقي	درهم
	ماء مقطر	اربع اواقي
امزج واضف اليهِ	سبيرتو مصحح	اوقيتين
	ماء الورد	اوقيتين
	غليسرين	اوقية

غيرهُ وهو غير سام

كلوريد النشادر	درهم
ماء	٧ اواقي
ماء الكولونيا	درهمان

غيره

سلفوكربولات الزنك	جزآن	
غليسرين	٢٥ جزءا	
ماء الورد	٢٥ جزءا	
سبيرتو	٥ اجزاء	

يدهن الوجه بهِ مرتين في اليوم ويترك نحو ساعة ثم يغسل بالماء

وقال داود الانطاكي في تذكرتهِ تزيله الاطلية بكل حار مثل الدفلى والاملاح ولب البطيخ والافسنتين واللوز المرّ والنوشادر مع الودع المطفى في حامض الليمون وبزر الفجل والكرنب وقثاء الحمار ايها اتفق طلاء وغسلاً بطبيخها

الدكتورة اليصابات بلاكويل

وهي اقدم طبيبات العالم

توفيت بالامس الدكتورة اليصابات بلاكويل في السنة التسعين من عمرها وهي اول امرأة نالت الشهادة الطبية القانونية . كان مولدها في بلاد الانكليز لكنها اقامت سنوات كثيرة في الولايات المتحدة . ولما بلغت السنة السادسة والعشرين من عمرها طلبت الدخول في جامعة جنيفا بولاية نيويورك فتردد الاساتذة في قبولها وتركوا المسألة لرأي التلامذة فقبلها هؤلاء باجماع الاراء وتعهدوا ان لا يأتوا امراً يزعجها مدة اقامتها بينهم . ولما اتمت دروسها منحت الشهادة الطبية باحتفال حضره خلق كثير . وعادت الى بلاد الانكليز سنة ١٨٤٩ فكان الاطباء يسيئون الظن بها وينفرون منها على ان السر جيمس باجت الجراح المشهور اذن لها في التردد الى مستشفى مار برثولماوس في لندن والدخول الى كل اقسامهِ الا القسم المختص بامراض النساء . ثم انتقلت الى باريس ولازمت الدروس في مستشفى النساء سنة

واصيبت هناك برمدٍ صديدي انتقل اليها من احدى المريضات في المستشفى ففقدت احدى عينيها ولم يعد لها امل ان تختصّ بالجراحة كما كانت تشتهي . وعادت الى الولايات المتحدة سنة ١٨٥١ واشتغلت هناك بصناعة الطب . وكانت تميل كثيراً الى التطبيب في المستشفيات فانشأت صيدلية حوَّلتها تدريجًا الى مستشفى وهو الآن مستشفى النساء في نيويورك ولا يطبب فيهِ الاَّ النساء . ولما زارت بلاد الانكليز مرة أُخرى سجل اسمها بين الاطباء المصرّح لهم بالتطبيب في انكلترا وهي آخر من سجل اسمهُ من الاطباء الذين يحملون شهادات

اجنبية فان البرلمان سن نظاماً بعد ذلك منع بهِ قيد اسماء الاطباء الذين لم يتعلموا في مدارس انكليزية

ثم عادت الى نيو يورك وعُينت استاذاً لعلم حفظ الصحة في مدرسة النساء الطبية بمدينة نيو يورك · وانتقلت بعد ذلك الى بلاد الانكليز ولما أُنشئت مدرسة النساء الطبية في لندن عينت استاذاً لامراض النساء فيها و بقيت في وظيفتها هذه الى ان شاخت وضعفت قواها

باب الزراعة

الرخاء عامٌّ لولا الدَّين

كيفما جلت الآن في القطر المصري تجد دلائل الرخاء فيهِ فالخيل في المدن والبنادر والجواميس يكاد عرضها يساوي طولها وسائر المواشي طرحت العجَف الذي كان بادياً عليها منذ سنتين وهي الآن ممتلئة البدن لان البرسيم كان جيداً جدًّا والشعير والفول رخيصاً كثيراً فاكلت وشبعت وسمنت

ولقد كانت المحصولات جيدة بنوع عام من فول وشعير وقمح وذرة حتى زادت على حاجة البلاد وصدر بعض الفول و بعض الذرة و بعض القمح ايضاً. وبلغ الصادر من الفول الى ١٧ يونيو ٢٣٦٧٢ اردباً ومن الذرة ١٣٨٨٥ اردباً ومن القمح ١٣٦ اردباً ولو اعتني بطحن القمح البلدي حتى يأتي دقيقهُ ابيض كالدقيق الروسي او الفرنسوي لاستغنت البلاد عنهما وكل ذلك مما يرضي و يسرُّ لولا الدَّين

ما دام الفلاح يستغلُّ خبزهُ من ارضهِ فلا فرق لديهِ بلغ ثمن اردب الحنطة جنيهاً او جنيهين ولكن اذا كان مضطرًّا ان يدفع عشرة جنيهات لصاحب الطين اجرة الفدان واذا كان صاحب الطين مضطرًّا ان يدفع مال الحكومة واقساط الدين جنيهات معدودات فالفرق كبير جدًّا بين ان يكون اردب القمح بجنيه او بجنيهين لانهُ اذا كانت خمسة ارادب بعشرة جنيهات فهي تكفي ايجار الفدان فيوفى منهُ مال الحكومة وقسط الدين و يبقى للمالك شيءٌ من الربح ولكن اذا كانت الخمسة الارادب بخمسة جنيهات فقط فلا تكفي نصف ايجار الفدان ولا يستطيع المالك ان يوفي منها مال الحكومة وقسط الدين

وقد يظن لاول وهلة ان الخسارة من رخص ثمن الحاصلات واقعة على الفلاح لا على صاحب الاطيان لان هذا يأخذ الايجار على كل حال . والامر على ضد ذلك لانهُ اذا غلا السعر عن المتوسط فالربح من غلائهِ يبقى كلهُ للفلاح فلا يستفيد المالك منهُ شيئاً واذا رخص السعر عن المتوسط فالخسارة تقع كلها على المالك لان الفلاح يعجز عن ايفائهِ ولا شيءَ عندهُ ليأخذهُ المالك منهُ . فالمالك يخسر بهبوط الاسعار ولا يربح بارتفاعها

واذا كان المالك غير مديون وكان مال الحكومة قليلاً معتدلاً فالضرر من هبوط الاسعار غير كبير لانها مهما هبطت يبقى من الاطيان ربح كافٍ لصاحبها ورخص الاسعار يساعدهُ على ابتياع سائر حاجياتهِ رخيصة ولكنهُ اذا كان مديوناً فهناك الطامة الكبرى . لنفرض ان زيداً يملك مئة فدان يؤَجرها عادة بخمس مئة جنيه يدفع منها ١٠٠ جنيه مال الحكومة ويبقى لهُ ٤٠٠ جنيه مقابل ثمن الاطيان واجرة ادارتهِ لها ثم لنفرض انهُ اضطرَّ لسبب من الاسباب ان يستدين عليها الفي جنيه قسطها السنوي مع الفائدة مئتا جنيه فما دامت الاسعار عالية يبقى لهُ من ايجار الاطيان اربع مئة جنيه بعد دفع مال الحكومة فيدفع منها مئتي جنيه قسط الدين ويبقى لهُ مئتا جنيه لمعيشتهِ ولكن اذا هبطت الاسعار ولم يستطع ان يحصل من الايجار الاَّ على ٣٠٠ جنيه في السنة كما يحدث كثيراً فيوفي منها مال الحكومة ويضطر امَّا ان يتأخر عن ايفاء قسط الدين فتتراكم الديون عليهِ هي وفوائدها الفاحشة او ان يوفي القسط ويعيش من الهواء او ان يعرض طينهُ للبيع بارخص ثمن

فالدين الذي سهَّلت البنوك سبيلهُ للفلاحين سيكون سبباً لخرابهم . ولذلك قلنا ان الرخاء عام لولا الدَّين

دفع الايجار عيناً

قلنا في النبذة المتقدمة ان زيادة اسعار الحاصلات تفيد المستأجر وقلما تفيد المالك وكثيراً ما تضرُّهُ لانهُ اذا زاد سعر الحاصلات كثيراً عن المتوسط فالزيادة يأخذها المستأجر وحدهُ واذا نقص سعرها عن المتوسط عجز عن ايفاء الايجار فتقع الخسارة على المالك . ولنوضح ذلك بمثل ولنفرض ان زيداً يملك ثلاثين فداناً من الاطيان الجيدة جدًّا استأجرها منهُ عمرو بثلثمئة جنيه وهما يحسبان ان هذا الايجار معتدل اذا كان ثمن اردب القمح مئة وعشرين غرشاً واردب الذرة مئة غرش وقنطار القطن اربع مئة غرش فاذا ارتفعت الاسعار وبلغ ثمن اردب القمح ١٥٠ غرشاً واردب الذرة ١٣٠ غرشاً وقنطار القطن ٥٠٠ غرش فيزيد ربح عمرو مئة جنيه او اكثر بارتفاع الاسعار وهو يأخذ هذه الزيادة لنفسهِ ولا

يعطي زيداً غرشاً منها غير الايجار المحدد . واذا هبطت الاسعار فبلغ سعر اردب القمح مئة غرش واردب الذرة ٧٠ غرشاً وقنطار القطن ٣٠٠ غرش لم يستطع عمرو المستأجر ان يوفي زيداً المالك غير ثلثي ايجار الاطيان فيخسر المالك وقت هبوط الاسعار ولكنهُ لا يربح وقت ارتفاعها

وعلاج ذلك ان يجعل الايجار عيناً اي كذا قناطير من القطن وكذا ارادب من القمح والشعير والفول والذرة وحب البرسيم حسب ما يزرع في الارض . فاذا جعل ايجار الثلاثين فداناً في المثال السابق ثمانين اردبًّا من القمح وثمانين اردبًّا من الذرة و ٣١ قنطاراً من القطن بلغ ثمنها حسب المتوسط ٣٠٠ جنيه فاذا زاد السعر عن المتوسط كان بعض الزيادة للمالك وبعضها للمستأجر واذا هبط السعر عن ذلك وقع بعض الخسارة على المالك وبعضها على المستأجر والخسارة في سنة الرخص تعدَّل بالربح في سنة الغلاء لان ثمن حصة المالك في سنة الرخص ٢٢٩ جنيهاً وثمنها في سنة الغلاء ٣٧٩ جنيهاً والمتوسط بينهما ٣٠٤ جنيهات اي مثل الايجار الجاري فلا يظلم هو ولا يظلم المستأجر

وخير من ذلك ان تجعل حصة المالك جزءًا من المحصول سبعين في المئة او ثمانين في المئة او نحو ذلك حتى يشترك هو والمستأجر في ما يحدث من هبوط الاسعار وارتفاعها وخصب المحصول ومحلهِ

البنوك الزراعية

ابنا سابقاً ان ديون الفلاحين ثقيلة الوطأة عليهم وهذه الديون موجودة الآن لا سبيل لانكارها ولا للتخلص منها ومهما حثثنا الفلاحين على ابطال الدَّين فالحث قد يمنعهم من ان يستدينوا ديناً جديداً ولكنهُ لا يساعدهم على ايفاء الدين السابق ولا على تخفيف وطأتهِ . فان اقل فائدة يدفعونها للبنوك ستة في المئة واكثر فائدة ٩ في المئة ولا يبعد ان يكون متوسط فائدة ديون الاطيان سبعة ونصفاً في المئة وهذا الربا فاحش جدًّا بالنسبة الى سعر النقود الآن فقد علمنا عن ثقة ان بعض الماليين الاوربيين عرضوا على الحكومة المصرية ملايين كثيرة من الجنيهات بفائدة ٣ ¾ في السنة وربما قبلوا ان يعطوها المبلغ الذي تريدهُ بفائدة ٣ ½ في السنة والمئة مئة

هذا باب فرج للبلاد يوفّر عليها نصف مليون جنيه كل سنة على الاقل فان الحكومة تستطيع ان تستدين باسمها عشرين مليوناً من الجنيهات تستبدل بها نصف ديون الفلاحين

من البنوك العقارية فاذا جعلت الفائدة ٥ في المئة توفَّر على الفلاحين ½ ٢ في المئة فيتوفر في العشرين مليوناً خمس مئة الف جنيه كل سنة

ولا يخفى ان البنوك الحاضرة تبذل غاية جهدها لتمنع الحكومة من ذلك ولكن يجب على الحكومة ان لا تفضّل مصلحة احد على مصلحة رعاياها فقد اخطأَت مرةً بسماحها للبنك الزراعي ان يجعل فائدتهُ ثمانية او تسعة في المئة ليربح اصحاب اسهمهِ ولاسيما اسهم التأسيس ارباحاً فاحشة فيجب عليها الآن ان تكفّر عن هذا الخطإِ بما يجعل البنك الزراعي يخفض معدل الفائدة الى خمسة في المئة وتجري سائر بنوك الرهنيات مجراه فيتوفر على البلاد اكثر من مليون جنيه كل سنة وتربح الحكومة فوق ذلك مبلغاً طائلاً تربحهُ البنوك الآن

القطن المصري

نمو الموسم الجديد حتى الآن جيد في بعض الاماكن ومتوسط في غيرها واذا لم تصبهُ آفة من الآفات الطبيعية فلا يبعد ان يبلغ متوسط ما بلغهُ في السنوات الماضية اي نحو ستة ملايين قنطار . وقد بلغ سعرهُ مبلغاً عظيماً جدًّا فوصل القنطار في الكونتراتات الى ٢٤ ريالاً ولكنهُ هبط يوم كتابة هذه السطور الى اقل من عشرين ريالاً فاذا بقي على العشرين او حواليها اي اذا بيع القنطار في الغيط بنحو ٤٦٠ غرشاً و بلغ ثمنهُ وثمن بزرتهِ مع ما يضاف اليهما من اجرة النقل والحلج وربح التاجر ٥٢٠ غرشاً فقط بلغ ثمن الموسم ٣١ مليوناً من الجنيهات وهذا ثمن جيد جدًّا فتنحل بهِ حلقات العسر المالي الحاضرة

وقد اضرَّ البرد ببعض الزرع فاماتهُ واعيد ترقيعهُ مرتين او ثلاثاً . وجرَّبنا عملية الشتل فلم تفلح الاَّ قليلاً ولذلك ترى شجيرات القطن قليلة في بعض الاماكن كأَنها نقصت عشرة في المئة . فاذا كانت الزراعة قد زادت عشرة في المئة عن العام الماضي في بعض الاماكن كما يقال فهذه الزيادة تقوم مقام النقص من عدم نجاح الترقيع

ومن الحقائق التي تجب معرفتها في هذا الشأن اولاً ان التقرير الرسمي لحالة زراعة القطن في اميركا الذي صدر في ٢٥ مايو الماضي يجعلها ٨٢ في المئة مقابل ٨١ و ١/١٠ في المئة في العام الماضي و ٧٩ و ٧/١٠ في المئة في العام الذي قبلهُ فحالة القطن الاميركي كانت الى حين صدور التقرير الرسمي اجود مما كانت في العام الماضي والذي قبلهُ

وثانياً ان مساحة الاطيان المزروعة حسب التقرير الاميركي بلغت ٣٣ مليوناً و ٢٠٠ الف

فدان (اكر) فزادت عن العام الذي قبله مليونًا ونحو ٢٨٢ الف فدان

وثالثًا ان المقطوعية من القطن الاميركي بلغت حتى اواسط يونيو ٩ ملايين و ٩١٦ الف بالة اي انها اقل مما كانت في العام الماضي الى مثل هذا الوقت مليونًا و ٧٢١ الف بالة والزيادة في المقطوعية غير كبيرة كما كانت في العام الماضي ولذلك لا يبعد ان المخزون من القطن الاميركي ومقداره الآن مليون ونصف من البالات يكفي المعامل. لان المقطوعية الاسبوعية تبلغ الآن ١١٧ الف بالة فاذا جرت على هذا النسق فالمخزون يكفي المعامل اكثر من ثلاثة اشهر اي الى اواخر سبتمبر . والمرجح ان المعامل تفضل تقليل عملها حتى لا ترفع سعر القطن فوق ارتفاعه الحالي لئلا تضطر بعد ذلك الى الخسارة بانخفاض الاسعار اذا جاء الموسم كبيراً

وما يقال عن القطن الاميركي يقال عن القطن المصري فان الصادر منهُ نقص على نسبة نقص المحصول تقريبًا اي ان المعامل اكتفت بالقليل فقل الصادر حتى الآن مليونًا و ٥٣٧٩٠٧ قناطير عما كان في العام الماضي اي كل ما اصاب المحصول من العجز وقع في الصادر الآ نحو ربع مليون قنطار والمرجح ان هذا المقدار يزول قبل آخر الفصل فيصير عجز الصادر مساويًا لعجز المحصول تمامًا

وكل ما تقدَّم يدعو الى الخوف من هبوط ثمن القطن المصري في المستقبل عن عشرين ريالاً ولكن اذا اعتبرنا الامور التالية وهي

اولاً ان الاميركيين نجحوا في ترخيص كل اعمال الزراعة بواسطة الآلات الاَّ القطن فان اكثر اعماله لا يزال باليد ولا سبيل لترخيصها لا سيما وان المعيشة غالية جدًّا في اميركا وهي تزيد غلاء عامًا فعامًا واجور العمال تزيد ارتفاعًا

وثانيًا ان القطن لا يزال رخيصًا جدًّا بالنسبة الى سائر المنسوجات وهو يقوم مقامها ولا غنى للناس عنهُ ونفقة الملابس القطنية قليلة بالنسبة الى سائر نفقات الانسان

وثالثًا ان الاراضي الصالحة لزرعهِ وجودتهِ قليلة محدودة وان العمال الصالحين لزرعهِ وخدمتهِ لا يسهل وجودهم في كل مكان

ورابعًا ان المستخرج من الذهب سنويًّا آخذ في الكثرة بسرعة فائقة . وكثرة الذهب تعني رخصهُ ورخصهُ يعني غلاء ما يشترى بهِ

فاذا اعتبرنا هذه الامور الاربعة ترجح لنا ان ثمن القطن يبقى مرتفعًا او انهُ لا يهبط كثيراً عن الدرجة التي وصل اليها الآن اي ان الميل العمومي يكون الى الصعود لا الى

الهبوط الاَّ اذا حدثت امور ليست في الحسبان كأَن يجود المحصول الاميركي جودة فائقة في نوعهِ وكميتهِ ويجود المحصول المصري ايضاً او تحدث اسباب تدعو الى ارسال كميات كبيرة من الذهب الى الهند والصين واواسط افريقية فانهُ اذا حدثت هذه الامور كلها او بعضها فان الثمن يهبط حتماً ولكن لا يكون هبوطهُ الى زمن طويل

موٌتمر الزراعة الاستوائية

التأَم هذا المؤتمر في معرض بركسل في العشرين من شهر مايو الماضي والثلاثة الايام التالية لهُ. ولما كان اليوم الاول موافقاً ليوم دفن ملك الانكليز فتح المعرض وأُجل الاجتماع الى اليوم التالي

وانقسمت اعمال المؤتمر الى ثلاثة اقسام القسم الاول في الزراعة بنوع عام وزرع الحراج والثاني في تربية المواشي وما يتعلق بها والثالث في العمال ونقل الحاصلات والمتاجرة بها

وقد قدّم الى المؤتمر نحو مئتي رسالة في مواضيع مختلفة من ذلك تقرير عن النتائج العملية التي نتجت من امتحان زراعة القطن في البلدان المختلفة مع ما يتعلق بذلك من اسباب النجاح والفشل

وقدّم تقرير مثل هذا عن زراعة شجر الصمغ الهندي في البلدان الاستوائية وطرق استخراجهِ . فان لهذين الصنفين اي القطن والصمغ الهندي اكبر شان الآن في الصناعة بين المحصولات الزراعية ولاخوف على بلاد يجود فيها القطن وشجر الصمغ الهندي (الكاوتشوك) اما القطن فامرهُ معروف وهو من الحاجيات التي لا غنى عنها ما دام الانسان محتاجاً الى اللباس . ومن المواد الاربع التي تستعمل لعمل اللباس الحرير والصوف والكتان والقطن القطن ارخصها واكثرها استعمالاً وسيزيد استعمالهُ زيادة مضطردة بنمو السكان وبزيادة العمران كما ابنا مراراً . واما الكاوتشوك او الصمغ الهندي فلا شيء بين المواد الزراعية زاد استعمالهُ في السنوات العشر الاخيرة مثل الكاوتشوك . والمقدار الذي يستخرج الآن منهُ سنويًّا قليل جدًّا يبلغ نحو ٦٨ الف طن ولذلك ارتفع سعرهُ ارتفاعاً فاحشاً هذه السنة . فالبلاد التي تنمو فيها اشجار الكاوتشوك مثل الاقطار السودانية تستطيع ان تستفيد من زراعتهِ فائدة كبيرة

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما ياتي: (١) المناظر والنظير مشتقَّان من أصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

الفصاحة وكتَّاب العصر

تحت هذا العنوان قرأت للاستاذ الشيخ الشرتوني في مقتطف نيسان (ابريل) مقالة شائقة جاء فيها على تقسيم الكتَّاب وذيَّلها باغلاطهم اللغوية كما فعل اليازجي الصغير في «لغة الجرائد» ولا غرو فان جهد الشرتوني الطويل وعناءهُ الشديد في الاحاطة بشوارد الكلم واوابد التراكيب يخولانهِ حق الجلوس في منصة اليازجي. ومن غيرهُ اولى بذلك وهو صاحب اقرب الموارد وسواهُ من الكتب والمقالات اللغوية الشاهدة بطول باعهِ في الادب اللغوي

على اني وان لم اكن من بني اللغة المدققين اود ان الفت نظر الشيخ الاستاذ الى بعض مظان في مقالتهِ رابني امرها فجئت اعرضها على نظرهِ الناقد موقناً ان ما يحيط بهِ اخصائي مثلهُ يقصر عن استيعابهِ فتىً مثلي حديث العهد في صناعة القلم. وعلى كلٍ فالنتائج مربوطة باسبابها والكلام بمؤيداتهِ

ينكر الاستاذ على الكتَّاب استعمال «المحيط والوسط» بدل «الوطن والاقليم» ولا يخفى على حضرتهِ ان المعنى الذي يفهم الآن من لفظتي محيط ووسط غير المعنى الذي نفهمهُ من وطن واقليم بل ان بينهما بوناً شاسعاً وقد كان من الممكن الاستغناء عن هذا الاشتقاق لو لم تكن اللغة كائناً حيًّا خاضعاً لناموس النشوء والارتقاء. ولو ان اسلافنا حافظوا على الكلمات العربية التي اخذوها عن اجدادهم بلا زيادة ولا نقصان وفعل الخلف ما فعل السلف لحصروا اللغة ضمن نطاق ضيق يمنعها عن النمو كما يفعل الصينيون بارجل بناتهم. ولو كان محظوراً على ابن اللغة ان يشتقَّ من افعالها بطريقة مألوفة لفظاً للدلالة على امر هو حديث

الانتباه لهُ لسكتنا ان لم نستطع الافلات من هذا القيد الثقيل. ولا يجهل الشيخ ان المعرّبين عن اللغات الافرنجية لا غنى لهم عن هاتين اللفظتين لان كلمتي وطن واقليم لا تقومان مقام ما يعبّر عنهُ بالافرنجية بالوسط والمحيط

وانكر قولهم « قام بأودهِ » وقال انهم يستعملون الاود بمعنى المعيشة ولم ينقل هذا المعنى احد من اللغويين . نعم ان الامر كما حكم الاستاذ لو صح انهم يفسرون الاود بالمعيشة . ففي الصحاح « آدهُ الحملُ يأودهُ أوْداً اثقلهُ » وكذلك في القاموس فآد اذن تستعمل بمعنى اثقل ومن الكتّاب من يقول « قام بأود معيشتهم » اي بثقلها وهذا هو الاستعمال الاصح والاسبق كما ارجح الاَّ ان جمهورهم يقول الآن « قام بأودهِ » ويكتفون عن المعيشة باضمارها وقدجرى هذا الامر على كلمات كثيرة في اللغة منها لفظة برهة ومعناها الزمن الطويل ثم صاروا يقولون برهة وجيزة للدلالة على القصير من الزمن ثم حذفوا النعت واشاروا بالبرهة الى الزمن القصير وهذا هو المفهوم منها الآن عند العموم

وانكر عليهم « الدثار » وقال انهُ لم يرَ مصدراً لدثر غير الدثور بمعنى الهلاك والفناء ولا يعلم من اين جاؤوا بهذا الدثار . وفي مختار الصحاح « الدثار بالكسر كل ما كان من الثياب فوق الشعار وقد تدثّر اي تلفَّف في الدثار» وفي محيط المحيط « الدثار ما فوق الشعار من الثياب وما تغطى بهِ النائم » وفيهِ ايضاً « حكي عن عبدالعزيز المسيح ابن الريان انهُ دخل الى قبتهِ في ليلة باردة وكان فيها اسارى قد ناموا بلا غطاء فقال للموكلين عليهم دثّروا اسراكم وخرج فقاموا اليهم بالسيف فقتلوهم لانهم فهموا منهُ معنى الاهلاك»واذا صحت هذه الرواية فهي تدل دلالة صريحة على ان دثّر كانت تستعمل بمعنى غطّى او تلفّف فالاسم منها دثار كرداء واذا لم تصح فمرجعنا فطاحل اللغويين كالجوهري والفيروزبادي وغيرهما وقد نقلنا ما قالاهُ بالحرف (الظاهر ان مراد الاستاذ الشرتوني نفي الدثار بمعنى الهلاك والفناء . مق .)

وانكر ايضاً استعمال « رضخ » بمعنى خضعَ وقال انها لم ترد لاحد من اللغويين بهذا المعنى بل قالوا رضخ بمعنى كسر : رضخ الجوزة كسرها . وفي محيط المحيط « رضخ لهُ خضع ورضخ للحق اذعن ورضخ لهُ من مالهِ اعطاهُ قليلاً من كثير » والمعنيان الاولان مولدان كما يفهم من عبارة المحيط ولا ارى ما يمنعنا عن استعمال المولّد وفي كتب اللغة عدد عديد منهُ واذا قال الشيخ باهمالهِ فليحرق قسماً كبيراً من القاموس . على انني ارى ان رضخ بمعنى اعطى تدرج معناها من الاعطاء الى التسليم الى الاذعان الى الخضوع وهذا ما لا اجزم بصحتهِ ما لم يؤيدهُ النقل ولكنهُ معقول ومثلهُ كثير في كتب اللغة

هذا ما خطر لي كتبتهُ باخلاص وحب للحقيقة مجرداً عن كل غاية واذا رأني الشيخ الاستاذ في موقف واهن فمن اجدر منهُ بصون الناشئة الجديدة عن وهن الموقف وخرق الرأي توفيق اليازجي

تصحيح احتضار رزق الله حسون

تكرَّر ذكر هذا الاحتضار فنشرتهُ في كتاب (خزانة الايام في تراجم العظام) لنسيبي يوسف بك نعمان المعلوف منشئ جريدة الايام في نيويورك منذ بضع عشرة سنة عند ترجمتي لحسون باختصار . ثم كررتهُ في مقالتي (الاحتضارات والقبريات) واعدتموهُ حضرتكم في الكلام عن حسون . وأُعيد في ترجمتهِ المطوَّلة التي نشرتها موَّخراً وكل ذلك في مقتطفكم الاغر . ثم قرأتهُ منذ يومين في مقالة عصماء نسج بردها صديقي الشاعر الناثر سليم بك عنحوري الدمشقي ردًّا على عبيدالله منشئ جريدة (العرب) بشأن المسيحيين ونشرتها جريدة الاحوال البيروتية وبين كل تلك الروايات اختلافات قليلة . وجميعها تؤْذن ان البيتين هما لحسُّون ولكن صديقي الفاضل شاكر افندي نعمة الله سلُّوم مدير جريدة (حمص) الغراء ومحرّرها بعث اليَّ منذ ايام بكتابٍ ضمنهُ تصحيح ذلك وطلب اليَّ ان انشرهُ في مجلتكم فلبيت طلبهُ شاكراً لهُ حسن ظنهِ ودقة استقرائهِ وهذا مآل كلامهِ :

ذكر المرادي في كتابهِ (سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر) ٣ : ١٧٥ تشطير هذين البيتين لعمر اللبقي الحلبي المتوفى سنة ١١٨٩ هـ (١٧٧٥ م) هكذا :

« قدَّر الله ان اكون غريباً »	بين قوم اغدو مضاعًا لديها (كذا)
ورمتني الاقدار بعد دمشقٍ	« في بلاد أُساق كرهاً اليها »
« وبقلبي مخدَّرات معان »	حين تبدو تختال عجباً وتيها
صرتُ ان رمتُ كشفها فأراها	« نزلت آية الحجاب عليها »

فيكون حسُّون اذن قد استشهد بهما مختصراً وليسا من نظمهِ . وبهذه المناسبة اشكر لكل من وقف على شيءٍ من اغلاطي وسقطاتي ونبهني اليهِ فمن انتقد كلمة من اقوالي افادني كثيراً ومن مدحني فقد اضرَّني . لأن الأوَّل يلفت انظاري الى التحقيق والثاني يصرفها الى التمليق وشتان بين الخطتين عيسى اسكندر المعلوف

باب التقريظ والانتقاد

مجموعة الدكتور شميل

الجزء الثاني

الجزء الاول من مجموعة الدكتور شميل علمي طبيعي في الغالب شغل تعريب بخنر وحواشيهِ وفصول الحقيقة الجانب الاكبر منهُ وكلها في موضوع النشوء الطبيعي او الناموس الطبيعي الذي جرت عليهِ الاحياء في ارتقائها من حين تحوَّلت القوى الطبيعية الى قوى حيوية في الجماد الى ان ارتقى العقل و بلغ ما بلغهُ في الانسان . واما الجزء الثاني فمواضيعهُ في الغالب فلسفية اجتماعية مبنية على العلوم الطبيعية وقد نشرت مقالاتهُ اولاً في المقتطف والبصير وغيرهما من المجلات وصحف الاخبار منذ اكثر من ثلاثين سنة الى الآن فالمقالة الاولى وموضوعها حوادث وافكار نشرت في جريدة مصر الفتاة سنة ١٨٧٩ اي منذ ٣٢ سنة واقدم منها المقالة الثامنة والاربعون وموضوعها ظواهر لا تفسر فانها نشرت في جريدة الكوريه دوريان سنة ١٨٧٦ اي منذ ٣٥ سنة حين كانت النهضة العلمية الحديثة في مبدإِها . والمقالة الاخيرة وموضوعها الدفن والمدافن وعلامات الموت مما انشأهُ المؤلف هذا العام

و بعض هذه المقالات مسهب جدًّا كمقالة الاجتماع البشري والعمران التي نشرت اولاً في المجلد التاسع والمجلد العاشر من المقتطف فانها ملأَت ٣٤ صفحة في هذا الجزء . و بعضها وجيز مختصر كمقالة الزلازل غضب الالهة وقد نشرت اولاً في البصير في العام الماضي فانها ملأَت اقل من صفحة . وفي الجزء كلهِ ٦٩ مقالة في ٣٤١ صفحة مطبوعة طبعاً متقناً على ورق جيد

هذا وصف الكتاب المادي اما وصفهُ الادبي وهو المقصود بالذات فلا يوفى في عجالة مثل هذه ونودُّ ان نتركهُ لغيرنا من الكتَّاب . ولكن ذلك لا يمنعنا من القول بان مغزى اكثر المقالات ومرماها اجتماعي عمراني بسط فيها الدكتور شميل زبدة ما اطلع عليهِ من آراء علماء الاجتماع وخلاصة آرائهِ الخصوصية التي استنتجها بعد النظر واعمال الفكر في امور الكون . وبعض ذلك مما شاع الآن في بلادنا لكثرة ما كُتب عنهُ في المجلات والجرائد وما نشر فيهِ من الكتب المترجمة والمؤلفة وقد الفهُ القراء فزالت غرابتهُ إما لكثرة تداولهِ او لانهُ معزَّز

بادلة كثيرة لا يسهل نقضها. وبعضهُ مما لا يزال غريباً اما لقلة ما كتب فيهِ او لضعف ادلتهِ

وبعض الآراء التي اثبتها الدكتور شميل لا يسلم من الانتقاد مثال ذلك مقالة ا ب ت ث وهي المقالة الاربعون من هذا الجزء فقد لام فيها الحكومة المصرية لانها اهملت التعليم البسيط الى الغاية القصوى. وقال ان نشر معرفة القراءة والكتابة في مصر غير صعب وممكن بسرعة ايضاً اذا ارادت الحكومة ذلك «فيمكن فيها رفع عدد الذين يقرأون الى ٦٠ او ٧٠ في المئة في زمن اقصر جدًّا مما يظن وذلك بجعل العلم اجباريًّا كما ان التطعيم للجدري اجباري ايضاً واقامة المدارس البسيطة في كل المدن والقرى على نسبة عدد الاهالي. مدارس يعلم فيها ا ب ت ث وشيء اكثر من (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين) يعلّم فيها المعلمون غير الجلبة والصياح وهز الرؤُوس والظهور في اماكن ينفذها الهواء انظف من مذاود البقر يعلمون فيها ان مصر قطعة من افريقيا وان الصحة تتوقف على النظافة والنظافة تقوم بغسل الوجوه واليدين والرجلين وبتغيير الملابس وغسلها بالماء والصابون قبل ان تبلى على الاجسام وان النظافة لا تتوقف على الغنى فان فلاح جبل لبنان افقر من فلاح مصر وهو مع ذلك في بعض الجهات انظف منهُ بكثير يلبس الثوب المرقع ولكنهُ يلبسهُ نظيفاً وان البشر كلهم خلقة الله ليس بينهم كافر او مؤْمن ولا طاهر او نجس الا الذي روائحهُ يكاد يغمى عليك منها وان العبادات لا دخل لها في المعاملات »

ثم اشار باسلوب لجمع المال اللازم لذلك وهو مثل الاسلوب الذي جرت عليهِ الحكومة المصرية اخيراً اي بعد كتابة مقالتهِ باثنتي عشرة سنة فكأنها عملت برأيهِ تماماً. ولا بأس بما في المقالة من الحض والتنديد ولو كثرت المبالغة فيهِ احياناً ولكن قلة الاهتمام بالامور الحسابية التي اوقعت الدكتور في بعض الارتباكات المالية كما اوقعت لامرتين من قبلهِ اوقعتهُ الآن في خطإٍ حسابي اجتماعي فانهُ حسب ان تعليم سبعين او ثمانين في المئة من الاهالي مبادئَ القراءة امر ممكن للحكومة بجعلها التعليم اجباريًّا كما جعلت التطعيم اجباريًّا

٦٠ او ٧٠ في المئة من الاهالي اي ستة ملايين نفس او سبعة ملايين نفس اذا حشرنا كل ستين او سبعين منها في كتَّاب لزم لنا مئة الف كتَّاب ومئة الف معلم واربعة ملايين من الجنيهات في السنة على الاقل. ولكن مراد الدكتور تعليم الصغار فقط من الصبيان والبنات وهؤُلاء يلزم لتعليمهم ٢٥ الف معلم و ٢٥ الف معلمة على الاقل ونفقة لا تقل عن مليوني جنيه في السنة

واذا لم تستطع الحكومة ان تجيء بكل هؤُلاء المعلمين والمعلمات فيكون فرضها التعلُّم

الاجباري ضرباً من الجور بل من الجنون لكن امنية الدكتور قد تحقق بعد السنين الطوال اذا رضي الالوف من البنات المتعلمات ان ينقطعن للتعليم

والخطأُ الحسابي في المسائل الاجتماعية ليس بضائر كالخطإِ الفلسفي · وقد بسط الدكتور شميل رأياً فلسفياً اجتماعياً في بعض مقالاتهِ اذا كان خطأً فمنهُ ضرر · قال في المقالة السابعة والخمسين مفسراً بيتاً لهُ يقول فيهِ

لا يصلح الانسان مجتمعاً ما دام فيهِ الدين والوطنُ

ان الذي يهمُّ الانسان من الدين والوطن في هذه الدنيا هو اصلاح حالهِ مجتمعاً وان الشارعين لم يفلحوا في جعل العالم ديناً واحداً فلم يعد يستهوي العقلاء في مجتمعهم غير تعليم العلم الذي اعتبروهُ انهُ الدين الحق وتركوا للدين الغاية الاخروية يتعلَّق بها من شاء على شرط ان لا يتذرَّع بها لمعاكسة سواهُ في دنياهُ · وبعد ان عزَّز قولهُ بالادلة الكثيرة عجب من خوف البعض على الاخلاق والآداب اذا تراخت المبادئُ الدينية · وهنا محل النظر فاننا من الذين يخافون هذا الخوف · ولا يُعترَض علينا بقول الدكتور في آخر هذه المقالة « هل نحن اليوم اسوأُ حالاً منَّا في الماضي » · فان ابناء هذا العصر الكهول تربُّوا كلهم تربية دينية في صغرهم · ولا نظن انهُ قام بين رجال الاديان مَن هم اسمى آداباً من هكسلي وتندل وسبنسر ولم يكونوا متدينين ولكن من يستطيع ان يقول بان آداب هؤُلاء الناس لم ترسخ في نفوسهم بواسطة التعاليم الدينية التي تعلموها في صغرهم او انها ليست من الفطر التي ورثوها من اسلافهم وقد وجدت في الاسلاف بواسطة التعاليم الدينية حقيقية كانت او وهمية واذا ترك الدين للآخرة لا تضعف هذه الفطر رويداً رويداً حتى تزول ؟

قد يكون ما قالهُ الدكتور شميل صحيحاً وقد لا يكون فاذا لم يكن صحيحاً فالامر جلل والضرر كبير ولذلك يحسن عدم القطع في مسألة مثل هذه الى ان نرى من سير الاجتماع ادلة كافية على ان فصل الدين عن المعاملات كلها اصلح لحال المجتمع

وما قالهُ الدكتور شميل عن المضار التي اصابت الناس باسم الدين وفي سبيل الدين صحيح كلهُ بل هو نقطة من بحر ولكن هذا ليس الدين الذي هو اساس الفضائل والوازع عن الرذائل بل هو آلة يستخدمها ذوو الاغراض لنيل اغراضهم واما الدين الوازع المربي فهو الذي يجعل المرء يعمل في دنياهُ معتقداً انهُ امام قوة قادرة تجازي المحسن وتعاقب المسيئ · الاَّ ان ما ينتقد عليهِ من مثل هذه الآراء قليل جدًّا وسائر الكتاب مبني على الحقائق العلمية والاجتماعية

وفي مقالات هذا الجزء كلها القديمة والحديثة من الشجاعة الادبية في المجاهرة بما يعده المؤلف صوابًا . والادلة العلمية على اثبات ما يريد اثباته . وحسن الاسلوب في التعبير عن المبادئ والآراء . والفراسة في تفسير الغوامض وتعليل الغرائب ما يحق لابناء الشرق ان يباهوا به ابناء الغرب

وقد الحق المؤلف بهذا الجزء ملحقًا ذكر فيه اسماء بعض الفضلاء الذين جادوا بنفقات طبع الكتاب ورأى ان لا يكون دونهم كرمًا فجعل يعطيه مجانًا للذين لا يستطيعون ابتياعه من طلبة العلم ورجال الادب فوزّع الى الآن اكثر من ثلثمئة نسخة منه مجانًا . وعندنا انه يحسن صنعًا فيفيد و يستفيد اذا وقف عند هذا الحد من اعطائه مجانًا وخفّض ثمنه حتى يسهل اقتناؤُه على كل احد فيزيد انتشاره و يسترد هو من نفقاته ما يمكنه من اعمال اخرى مفيدة . وكتاب تشتريه بمالك انفع لك من كتاب تأخذه استعطاء

دروس التاريخ الاسلامي

للشيخ محيي الدين افندي الخياط

صدر الجزء الاول من هذا الكتاب وهو يقع في نحو ٦٠ صفحة ويشتمل على مجمل تاريخ صاحب الشريعة الاسلامية وسيتبعه مؤلفه بالاجزاء الباقية وهي تاريخ دول الخلفاء وغيرها من الدول الاسلامية . وقد تصفحنا الكتاب فوجدناه سهل العبارة متين التركيب حسن التبويب . على اننا نلاحظ على مؤلفه التعرّض للسياسة العصرية في مؤلف كهذا يعلّم لاولاد المدارس كقوله ان اوربا تحمي المبشرين باسم الدين باساطيلها والحقيقة انها تحميهم لانهم من رعاياها كما تحمي التجار وكما تحمي رعاياها غير المسيحيين والادلّة على ذلك كثيرة لا يجهلها احد

يطلب هذا الكتاب من المكتبة السلفية بمصر

الجزء الثالث

من ارشاد الاديب

اصدر الاستاذ مرغوليوث الجزء الثالث من هذا الكتاب النفيس وهو كسابقيه في جودة الورق والطبع وكثرة الحواشي التي تشهد للاستاذ مرغوليوث بسعة الاطلاع ودقة النظر وفي هذا الجزء من تراجم المشاهير ترجمة ابي علي الفارسي النحوي المشهور وابي سعيد السيرافي النحوي (وفيها المناظرة التي جرت بينه و بين متّى بن يونس القنائي)

كتاب القضاة والنوّاب

هي رسالة لحضرة شكري افندي العسلي الدمشقي قائمقام الناصرة ضمنها تاريخ القضاء في الممالك الاسلامية في زمن الخلفاء الراشدين والامويين والعباسيين ثم توصل الى ذكر منصب القضاء والنيابة والافتاء في الدولة العثمانية منذ اول نشأتها الى الآن وبحث في اوصاف القضاة الشرعية والشروط التي لا يجوز ان يقلد القضاء الأَّ من تكاملت فيهِ . وذكر احوال القضاة ونوابهم في المملكة العثمانية وانتقد المدرسة التي يتخرجون فيها فقال انهُ لم يصادف بين من اجتمع بهم من المتخرجين في المدرسة المذكورة عالمًا بوظائفهِ واحكام الشريعة كما يجب الاَّ القليل منهم هذا فضلاً عن ان بعض النواب لم يتخرجوا في مدرسة قط بل كانوا كتابًا في المحاكم الشرعية . وذكر ايضًا الوسائل التي يرجى منها اصلاح القضاء في المملكة العثمانية فعسى ان ينظر اولياءُ الامر الى ما جاء في هذه الرسالة ويحلونهُ محل الاعتبار

ومما ذكرهُ ايضًا انهُ كان في زمن بعض الدول الاسلامية كالدولة العباسية والدولة الاموية بالاندلس ودولة العبيديين بمصر والمغرب « حاكم يحكم فيها بما تقتضيهِ السياسة دون مراجعة الاحكام الشرعية ويسمى تارةً باسم والٍ وطوراً باسم الشرطة » . وهو ما جرت عليهِ الدولة العثمانية والخديوية المصرية

مبادئ الفلسفة القديمة

الفارابي من فلاسفة الفرس او الترك المشهورين وقد عُني حضرة الفاضلين صاحبي المكتبة السلفية بنشر رسالتين من رسائلهِ وهما « ما ينبغي ان يقدَّم قبل تعلّم فلسفة ارسطو » و« عيون المسائل في المنطق ومبادئ الفلسفة » وعلقا عليهما شرحًا موجزاً جامعًا لكثير من الفوائد واوردا ترجمة المؤلف نقلاً عن اوثق المصادر . وحبذا لو ذكرا النسخ التي اعتمدا عليها في تنقيح الرسالتين فهما مختلفتان قليلاً عن النسخة التي نشرها في اوربا الدكتور ديتريصي ونسختهُ اصح واضبط . وقد عثرنا على بعض هفوات في المتن والشرح لا نرى بدًّا من الاشارة اليها كقول الشارح نقلاً عن القفطي ان قورينا (Cyrené) بلدة بالشام قرب حمص والصواب انها مدينة قديمة في برقة المعروفة الآن بمتصرفية بني غازي بين مصر وحدود طرابلس الغرب لا كما ذكر القفطي . وقد خربها العرب لما فتحوا البلاد ومصّروا مدينة غيرها سموها القيروان . ومن اغلاط النسّاخ التي يجب اصلاحها افيغورس وهي كذلك

في نسخة ديتريصي ونظن ان صوابها افيقورس (Epicurus) · وويطوريقا فقد نقلها الشارح كما هي في نسخة القفطي المطبوعة في مصر وصوابها ريطوريقا (Rhetoric) · وافوذوطيقا وصوابها افوذقطيقا (Apodictic) كما وردت في نسخة ديتريصي · ومن اغلاط التعريب قول الشارح شلسس اي خلقيس او خلكيس (Chalcis) وهي البلدة التي توفي بها ارسطو

وهاتان الرسالتان تفوقان في التنقيح وجودة الطبع معظم الكتب العربية القديمة التي يعاد طبعها في هذا القطر على انهُ لم يزل امامنا مجالٌ واسع حتى نفوق الاوربيين في طبع الكتب العربية · فنشكر لناشري الرسالتين غيرتهما على العلم وعنايتهما بنشر الكتب المفيدة مع اتقان الطبع ودقة البحث

والرسالتان في مجلد واحد يطلب من المكتبة السلفية لمؤسسيها محب الدين افندي الخطيب وعبد الفتاح افندي القتلان بالسكة الجديدة وثمن النسخة ٢٥ مليماً واجرة البريد ١٠ مليمات

كتاب امراض النساء

صدر الجزء الثاني من كتاب امراض النساء لمعرّبهِ حضرة الدكتور احمد عيسى من اطباء القاهرة · وهو تأليف حضرة الاستاذ صموئيل بوتسي معلم امراض النساء في مدرسة الطب بباريس وكان المعرّب قد اصدر الجزء الاول منهُ منذ بضعة عشر شهراً فقرظناهُ في حينهِ · والجزء الثاني الذي صدر الآن لا يقل عن الجزء الاوَّل في دقة الترجمة وصحة العبارة ومتانتها · وهو مطبوع طبعاً حسناً ومزين بالرسوم الجميلة وقد عانى المعرّب مشاق كثيرة في انتقاء الالفاظ العربية حتى تجيء الترجمة خالية من العجمة ما امكن · وقد سرَّنا ما سمعناهُ من ان نظارة المعارف ابتاعت عدداً كبيراً منهُ ووزعتهُ على تلامذة الطب في قصر العيني فان ذلك مما ينشط امثال الدكتور عيسى في تعريب نخبة المؤلفات المفيدة · فنحث الاطباء على اقتناء هذا الكتاب لانهُ من افضل الكتب الطبية في بابهِ وهو المعوَّل عليهِ في مدرسة باريس الطبية وقد نقل الى كثير من اللغات

السمير

مجلة روائية ادبية تاريخية لحضرة الكاتب الاديب قيصر افندي شميل فيها نخبة من الروايات والمقالات التاريخية والعلمية والادبية وهي حسنة الوضع والسبك تشهد لصاحبها بسعة الاطلاع وامتلاك ناصية الانشاء ولا غرو فهو من بيت عرف بالعلم والفضل · فنحث محبي الادب على مطالعة هذه المجلة لما فيها من الفكاهة والفائدة

جمعية تهذيب الشبيبة السورية

انشأ بعض متخرجي المدرسة الكلية السورية منذ ست سنوات جمعية سموها جمعية تهذيب الشبيبة السورية غايتها مساعدة النابغين من احداث السوريين ذكوراً واناثاً ليتهذبوا في المدارس العالية · وقد نجحت هذه الجمعية نجاحاً تامًّا بمساعي القائمين بها ومساعدة عدد كبير من متخرجي المدرسة وغيرهم من أُولي الفضل كما يتضح من تقريرها السنوي السادس لسنة ١٩٠٩ الذي اصدرتهُ حديثًا فقد جمعت تلك السنة ٢٠٠١٤ غرشًا وكان الباقي في صندوقها من السنة السابقة ٢٧٣٤٠ غرشاً وانفقت ١٣٨٢٥ غرشاً على تعليم احد عشر تلميذاً في مدارس مختلفة وبقي في صندوقها ٣٣٥٢٩ غرشاً· فنحث متخرجي المدرسة الكلية وكل محبي العلم على الانضمام الى هذه الجمعية ومساعدتها لما يرجى منها من النفع للبلاد

الحسناءُ

مجلة نسائية علمية ادبية تاريخية اخلاقية اجتماعية لمنشئها حضرة الكاتب المجيد جرجي افندي نقولا باز ويساعدهُ في تحريرها نخبة من الكاتبات الفاضلات وقد بلغت الآن اواخر سنتها الاولى ولا يزال منشؤُها يوالي السعي لتحسينها وانتقاء المواضيع النسائية المفيدة فنحث السيدات على اقتنائها ومطالعتها لما فيها من الفوائد الجزيلة

كتاب معنى الحياة وكتاب ثمرة الحياة

THE USE OF LIFE

اللورد افبري وكان يعرف قبلاً بالسر جون لبك من علماء الانكليز وكتابهم المشهورين لهُ مؤَلفات كثيرة علمية وادبية احدها كتاب مسرَّات الحياة الذي نقل الى العربية منذ بضع سنوات · وقد أُهدي الينا الآن كتابان وصلا في وقت واحد تقريباً احدهما اسمهُ « معنى الحياة » بقلم حضرة وديع افندي البستاني احد متخرجي الكلية الاميركية في بيروت والآخر اسمهُ « ثمرة الحياة » بقلم حضرة حسن افندي رياض من طلبة الحقوق في القاهرة· والكتابان تعريب مؤَلَّفٍ واحد للورد افبري فالاوَّل منقول عن الاصل الانكليزي بتصرُّف والثاني منقول عن الترجمة الفرنسوية وكلاهما حسن التعريب والسبك· والكتاب من افضل مؤَلفات اللورد افبري

حياة اللغة العربية

اهدت الينا سكرتارية الجامعة المصرية الجزء الاول من مجموع المحاضرات التي القاها حضرة الفاضل حفني بك ناصف استاذ الادب في الجامعة المصرية وموضوعهُ تاريخ الادب او حياة اللغة العربية بدأهُ بالبسملة والحمدلة والصلاة على انبياء العرب هود وصالح واسمعيل وشعيب ومحمد وقال انهم ائمة البيان ونخر قحطان وعدنان واثنى على علماء الافرنج الذين بحثوا عن امهات الكتب العربية وطبعوها بعد ان صححوها ووضعوا لها الفهارس على اصناف مختلفة حتى لا تخفى على قارئها خافية والفوا في العربية كتباً نافعة وطبعوها واصبحنا ونحن في الديار العربية نشتريها ونحصل الفوائد منها

واستطرد بعد ذلك الى ذكر قبائل العرب ومساكنها واصنامها . وقال ان اسم العرب مأخوذ من الاعراب وهو البيان او ان كلمة عرب ترادف كلمة بادية . وان رأي بعض علماء الشرقيات في وجه تسمية العرب عرباً انهم نزحوا غرباً فسموا عرباً لان الغين مفقودة في سائر اللغات السامية نوع من المجازفة

ويلي ذلك جانب من موضوع المحاضرات بالذات وهو فصل في الحروف الهجائية وكيفية التلفظ بها واستعمالها في الابجدية او بدل الارقام الهندية . وفصل في تاريخ الخط العربي وهذا الفصل مسهب موضح بالصور وهو خير فصول هذا الجزء وقد اثبت فيهِ صورة الخط الحيري او الانباري وقال ان خط اهل الحجاز مشتق منهُ . وهو شبيه بهِ على ما يظهر لكنهُ لم يوضح كيف عُرف ان الخط الحيري او الانباري كان كذلك

مساحة ما زرع من القطن في سنة ١٩٠٩

COLLECTION OF STATISTICS
OF THE
AREAS PLANTED IN COTTON
BY
E. M. DOWSON,
Director General of the Survey Department
AND
J. I. CRAIG, M.A., F.R.S.E.,

اهدت الينا مصلحة المساحة الجدول الاخير لمساحة ما زرع من القطن في العام الماضي وقد استوفينا الكلام عليهِ في باب الزراعة من مقتطف شهر مايو الماضي

خواص المادَّة

اهدت الينا سكرتارية الجامعة المصرية الجزء الاول من مجموع المحاضرات التي القاها حضرة الفاضل اسمعيل حسنين بك استاذ علم الطبيعة في الجامعة المصرية وناظر مدرسة المعلمين المصرية وهي في قوانين حركات الاجسام وقياس القوى . والبحث في ذلك رياضي كما لا يخفى لا يفهمهُ الاَّ الذين يدرسون هذا العلم ويعرفون مصطلحاتهِ . ودأبنا في كل كتاباتنا العلمية الرجوع الى مصطلحات علماء العرب اذا وجدت والاَّ فالترجمة المطابقة للاصل الافرنجي او اللاتيني على قدر الامكان فتجد في ما نكتبهُ المال والكعب والجذر والجيب والمماس والسهم والاستمرار والزخم وتركيب القوى وتحليلها وهلمَّ جرًّا ولكن بعض المصطلحات في هذه المحاضرات مخالف لذلك وحبذا لو اتفق المشتغلون بالعلوم الطبيعية والرياضية في مصر والشام على مصطلحات واحدة حتى يستفيد ابناء الشام من كتب علماء مصر ويستفيد ابناء مصر من كتب علماء الشام. وحبذا ايضاً لو اشتملت هذه المحاضرات على مسائل كثيرة تتضح بها قواعدها لان القاعدة لا تفهم جيداً ولا ترسخ في الذهن ما لم توضَّح بالامثلة والمسائل التي تحل بها . ولو كبرت الحروف في الاشكال الرياضية لكي تظهر جليًّا

العِلْم

مجلة علمية تصدر في النجف من اعمال العراق لمنشئها العلاَّمة السيد محمد علي هبة الدين الشهرستاني . وقد جاءنا العدد الاول منها فاذا هو حافل بالمقالات العلمية والادبية منها مقالة في الصحافة وتاريخها وفوائدها واخرى في ضرر المسكرات وغيرها في ذوات الاذناب واخبار واكتشافات واختراعات ونبذ مختلفة فنرجو لها الانتشار والنجاح

المكافحة ضد مرض السلّ

للدكتور ب . مودينوس

هو كتاب صغير الحجم جزيل الفائدة بحث فيهِ مؤَلفهُ بحثاً وافياً في اسباب السلّ وطرق انتقالهِ والوقاية منهُ وعلاجهِ وانتشارهِ في القطر المصري واهداهُ الى سمو الخديوي المعظم وجعلهُ خدمة للامة المصرية وهي غيرة لهُ تعود عليهِ بالشكر الجزيل

والكتاب مطبوعٌ طبعاً متقناً على ورقٍ جميل جدًّا وحبذا لو اصلحت لغتهُ الاصلاح الواجب

التلميذ

مجلَّة مدرسية اخلاقية تصدرها الجمعية العلمية في المدرسة العثمانية في بيروت ٠ وهي تبحث في كل ما يؤُول الى تقدم التلميذ الشرقي ونجاحهِ وتقوية الرابطة الوطنية بين التلامذة وطلاَّب العلم ٠ وقد جاءنا العددان الاول والثاني منها وفيهما مقالات ادبية وعلمية واجتماعية واخبار مدرسية ٠ فنشكر للجمعية هذه المأثرة الجليلة ونتمنى للمجلة الرواج والانتشار

امام غزَّالي
اثر
رضاء الدين بن فخر الدين

أُهدي الينا هذا الكتاب وقد بحث فيهِ مؤَلفهُ في تاريخ الامام الغزالي وفلسفتهِ في اللغة التركية ٠ وهو مطبوع في مدينة اورنبورغ بمطبعة جريدة « وقت » فنشكر لمؤَلفهِ تحفتهُ هذه

خريطة القطر المصري

وهي خريطة صغيرة الحجم متقنة الرسم والخط والطبع فالرسم لحضرة وهبه افندي عبدالله مدرس الرسم والجغرافيا بمدرسة الاتحاد الوطني والكتابة بقلم حضرة محمد افندي يوسف من مدرسي المدرسة المذكورة والطبع على نفقة حضرة عبده افندي عيد ناظرها ٠ تطلب هذه الخريطة من مدرسة الاتحاد الوطني ومن المكاتب الشهيرة

الفرائد

مجلة علمية ادبية اجتماعية روائية تصدر في البرازيل لصاحبها ومنشئها حضرة ابرهيم افندي شحاده فرح وقد جاءنا العدد الرابع منها وفيهِ مقالات علمية وادبية وتاريخية منها ترجمة الشاعر الفرنساوي الشهير لامرتين ومقالة في الفقر واسبابهِ وأُخرى في وصف يلدز واخبار وحوادث ومتفرقات ٠ فنتمنى لها الرواج والانتشار

حسناء سالونيك

رواية تاريخية سياسية اجتماعية تأليف حضرة الفاضلة مدام سليم صدقه وصفت فيها الانقلاب السياسي الاخير الذي حدث في المملكة العثمانية وخلع السلطان عبد الحميد وتولية السلطان محمد الخامس ٠ ويتخلل ذلك وقائع غرامية وفصول ادبية واجتماعية اجادت المؤَلفة في وصفها وتنسيقها ٠ فنحث الادباء على مطالعة هذه الرواية لما فيها من اللذة والفائدة

النتيجة الشرقية

اهدى الينا حضرة يوسف افندي الخوري الصيدلي المشهور في الاسكندرية نتيجتهُ التي يصدرها سنويًّا وهي تحتوي على تقويم عام لسنة ١٩١٠ بالتواريخ الافرنجية والرومية والهجرية والقبطية والعبرية مع ذكر الاعياد الدينية والسياسية · وفيها ايضاً فكاهات ونوادر وفوائد علمية وادبية وصناعية منها نبذة في تعقيم اللبن واخرى في الطيران وغيرها في ارباح المؤلفين جاء فيها ان ڤولتير كان اغنى المؤلفين في ايامهِ وروسّو الشهير لم يتعدَّ كسبهُ ٢٧٠٠ فرنك سنويًّا · ومن مؤلفي القرن التاسع عشر الذين ربحوا اموالاً طائلة بمؤلفاتهم اوجين سو فانهُ ربح من بيع « اليهودي التائه » ١٠٠٠٠٠ فرنك ومن بيع « اسرار باريس » ١٦٠٠٠٠ فرنك · وربح دوماس الكبير ٢٠٠٠٠٠ فرنك من بيع « الفرسان الثلاثة » و« منت كريستو » · وربح فكتور هوجو من « البؤساء » ٤٠٠٠٠٠ فرنك وترك بعد وفاتهِ سبعة ملايين من الفرنكات · واكتسب بيرون بقلمهِ ٥٠٠٠٠٠ فرنك ودكنس مئة الف جنيه · ومن مشاهير الكتاب الذين يربحون اموالاً طائلة في هذه الايام مسز همفري ورد وماري كورلي ورديارد كبلنج وكونان دويل وغيرهم ويقدر ربح كل مؤلّف من مؤلفاتهم بنحو خمسة عشر الف جنيه

تربية البنات

كتاب وضعهُ الحكيم الفرنسوي المشهور فنلون صاحب قصة تلماك وغيرها من المؤلفات كتبهُ اجابة لرغبة الدوقة دي بوفليير وهي من فضليات النساء في ذلك العهد · وقد عني بنقلهِ الى اللغة العربية حضرة الكاتب المعروف بمباحثهِ الاجتماعية صالح بك حمدي حماد فنحث السيدات على اقتناء هذا المؤلف الجليل لما فيهِ من الفوائد الجزيلة

SUPIRS DU BOSPHORE

تنهدات البوسفور

عنوان قصيدة في نحو مئتي بيت نظمها باللغة الفرنسوية حضرة الكاتب المجيد عبدالله افندي مدوّر ووصف فيها عصر السلطان عبدالحميد والانقلاب السياسي الذي حصل في ايامهِ فاعجبنا بشاب شرقي ينظم في غير لغتهِ نظماً من ارق الشعر وانفسهِ

ترقي العائلات في تربية البنات

كتاب وضعهُ حضرة يوسف افندي صفير صاحب مكتبة المدارس في وجوب تربية البنات وتهذيب اخلاقهنَّ على الآداب الصحيحة وفي كيفية آدابهنَّ الباطنة والظاهرة وظهورهنَّ بين الناس وسلوكهنَّ ومعاطاتهنَّ اشغالهنَّ البيتة . وقد جمع كثيراً من النصائح والارشادات التي يجب على كل فتاة معرفتها واتباعها . وهو حسن العبارة والسبك مضبوط كلهُ بالشكل الكامل ومطبوع طبعاً حسناً . ويحسن بمعلمات المدارس والامهات والفتيات اقتناء هذا الكتاب ومطالعتهُ

الآثار المصرية

النبذة الاولى من المجموعة الثانية عشرة

لما اجتمع المؤتمر الاثري بمصر في شهر ابريل من السنة الماضية وعد حضرة اقلاديوس بك لبيب من اساتذة المدرسة الاكليريكية القبطية بنشر ١٢ مجموعة اثرية في مواضيع مختلفة وقد اصدر الآن المجموعة الثانية عشرة منها وهي تحتوي على وصف زيارتهِ للاديرة القبطية التي في برية شيهات او وادي النطرون وترجمة نقوش قبطية لم تنشر قبلاً ولاسيما اثنين تاريخ احدهما سنة ٥٠٢ للشهداء وتاريخ الثاني سنة ٥٧٥ للشهداء . ولهُ في ذلك مباحث دقيقة تشهد لهُ بطول الباع في هذا الفن

كتاب سمير الليالي

تأليف حضرة امين افندي صوفي السكري وقد صدر الجزء الاوَّل منهُ ويشتمل على جغرافية المملكة العثمانية والممالك الاوربية . وقد اسهب المؤلف في وصف المملكة العثمانية ولاية ولاية مبيناً حدودها وعدد سكانها وما فيها من المدن والجبال والبحيرات والانهار والآثار والاماكن الشهيرة مع كلام موجز عن تاريخها متى دعت الحاجة اليهِ . وهو من الكتب النفيسة التي لا يستغني عنها من اراد الوقوف على احوال المملكة العثمانية وجغرافيتها فنحث القراء على اقتنائهِ ونشكر مؤلفهُ وناشرهُ على تحفتهما هذه

يطلب الكتاب من ملتزم طبعهِ حضرة الشيخ عبدالله افندي الرفاعي صاحب المكتبة الرفاعية بطرابلس الشام

مجلة جمعية الاقتصاد السياسي الخديوية

L'ÉGYPTE CONTEMPORAINE
REVUE
De la Société Khédiviale d'Economie Politique de Statistique
et de Législation.

انشأت جمعية الاقتصاد السياسي الخديوية مجلة للبحث في المسائل الاقتصادية والاحصائية والتشريعية · وقد جاءنا الاعداد الثلاثة الاولى من هذه المجلة وفيها مقالات شائقة في هذه المواضيع منها مقالة في تقدم الزراعة في فرنسا بقلم المسيو جرمان مارتن من اساتذة الجامعة المصرية ورئيس تحرير المجلة واخرى في المجالس الحسبية وبيت المال لحضرة الاستاذ سيداروس بك وخطبة في النقابات الزراعية في مصر لسعادة بوغوص باشا نوبار ومقالات غيرها في مواضيع صحية وزراعية وتشريعية فنشكر للجمعية هذه المأثرة الجليلة

الروايات الجديدة

صدر العدد الرابع والخامس والسادس من مجلة الروايات الجديدة تعريب حضرة الكاتب المجيد نقولا افندي رزق الله فنلفت انظار القراء اليها

رواية فتاة بروسيدا

وهي رواية فلسفية ادبية فكاهية غرامية تأليف الكاتب الشاعر المشهور لامارتين وتعريب حضرة عبدالله افندي عز الدين الصيدلي القانوني

رسملي كتاب

مجلة ادبية سياسية فنية فلسفية اجتماعية تصدر في الاستانة العلية باللغة العثمانية مديرها وصاحبها حضرة عبيدالله اسعد افندي ورئيس تحريرها حضرة م · رؤوف افندي ويكتب فيها ايضاً نخبة من علماء الترك وادبائهم · وهي مزينة بالرسوم المتقنة الصنع ولا تفضلها المجلات الافرنجية من هذا القبيل فنشكر لصاحبها ومحررها تحفتهما هذه ونحث العارفين باللغة التركية على اقتنائها · بدل اشتراكها في الولايات العثمانية ٦٠ غرشاً عثمانياً وفي الايالات الممتازة ١٥ فرنكاً

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف · ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) جمعية الحرم

نيو اورلينس · الخواجه شديد نعمه عطايا · في هذه المدينة جمعية تدعى Shrine (حرَم او ذخيرة) لها شارات عربية بحتة من السيف والهلال والنجم وملابس البدو واسماء المدن العربية مثل مكة والمدينة ودمشق وعكاء وطرابلس وبيروت وهي تدَّعي انها أُنشئت اولاً في مكة سنة ٢٥ للهجرة ومن منشئيها ابو بكر الصديق ونفر من الصحابة · وقيل انهُ كان لرزق الله حسون علاقة بها وبدخولها الى هذه الجمهورية فهل ذلك صحيح وماذا تعلمون عن هذه الجمعية

ج · ان اعضاء هذه الجمعية يدَّعون انها فرع من الماسونية وشاراتهم عربية كما ذكرتم وبعضهم يمثل موكب الحج ويركب الجمال وقد دعونا مراراً الى حفلاتهم ورأينا في اوراق الدعوة صور السيف العربي والهلال والنجم والطربوش العربي وبعض الاسماء العربية كما قلتم . ومن الناس مَن يخترع مخترعات مثل هذه اما طلباً للرزق اذا كان محتاجاً اليهِ واما للظهور او التفكهة اذا كان غنيًّا عنهُ وإما لان عقلهُ يميل الى الغرائب · لقينا منذ ثلاثين سنة رجلاً اميركيًّا ادَّعى انهُ دخل بعض الكهوف في بلاد حوران فرأى فيها اناساً من الاسمعيلية او الدروز يقيمون الرسوم الماسونية كما يقيمها الماسون في محافلهم ونحن نعلم ان ليس في بلاد حوران شيءٌ من ذلك والرجل لم يقصد خداعنا ولكن خطر لهُ خاطر رسخ في ذهنهِ فاعتقد صحتهُ وتكلَّم عنهُ كأنهُ رآهُ مرأى العين · والظاهر ان اميركا بلاد الغرائب تحوي الآن كثيرين من هؤُلاء المتهوّسين رجالاً ونساء ودعاويهم باطلة كما لا يخفى مهما كان قصدهم · ولو كان لجمعية الحرَم او الذخيرة هذه وجود تاريخي لذكرها مؤَرخو العرب مثل الطبري وابن الاثير وابن خلدون وغيرهم ولوجدت في بلادنا قبلما توجد في اميركا

(٢) تطعيم الزيتون

حاصبيا · طعمي افندي شبشب · هل لكم ان تفيدونا عن تطعيم الزيتون ليصير ثمرهُ

كبيراً فانني جربت ذلك مراراً فلم احصل على نتيجة بل يرجع ثمر المطعوم صغيراً كاصل الشجرة

ج . يظهر انكم لم تأخذوا الطعم من شجرة ثمرها كبير من اصله. فجربوا ذلك مرة ثانية حسب طريقة التطعيم المألوفة في الزيتون وليكن الطعم من شجرة جوية اصلاً لا مطعمة تطعيماً فاننا رأينا زيتوناً كثيراً في صحراء الشويفات وساحل بيروت طُعّم فجاء زيتونهُ كبيراً مثل الشجرة التي أُخذ المطعوم منها

(٣) كروية الارض وحركة الماء

الشويفات . الخواجه شحاده خليل مالك . من المقرر ان سطح الارض كروي وان الجاذبية وسرعة دوران الارض تحفظان كل شيء في مكانهِ . واما الماء فانهُ دائماً متقلقل تبعاً لحركة الريح . وكروية الارض تظهر بوضوح تام على سطح البحر فالبحر الذي يكون طولهُ وعرضهُ ثلاثة آلاف ميل مثلاً فنصف هذا البعد يجب ان يكون اعلى من الطرفين على نسبة معلومة فكيف يبقى ذلك الماء في شكلهِ الكروي مع انهُ متقلقل دائماً وهو ليس باستواء تام في جميع مراكزهِ

ج . ان بعض ما ذكرتموهُ صحيح وبعضهُ غير صحيح فقولكم ان الجاذبية تحفظ كل شيء في مكانهِ صحيح ولكن قولكم ان سرعة الدوران تحفظ كل شيء في مكانهِ غير صحيح بل سرعة الدوران تميل بالشيء ان يخرج من مكانهِ . ولو كان دوران الارض اسرع مما هو الآن ١٨ مرة لطارت اكثر الاجسام عن سطحها . والريح تقلقل الماء ولكن هذه القلقلة سطحية لا يظهر لها اثر يذكر في شكل سطح الماء بوجه عام وايضاحاً لذلك افرضوا انكم ملأتم اناء واسعاً باللبن الرائب فاللبن ينبسط في الاناء ثم افرضوا انكم نفختم على جانب منهُ حتى تجعَّد قليلاً تجعداً لا يزيد سمكهُ على سمك ورقة او ورقتين من ورق الكتابة فان هذا التجعُّد القليل نسبتهُ الى سطح اللبن كلهِ اكثر من نسبة اعلى الامواج الى سطح البحر فاذا كان اتساع اناء اللبن اربعين سنتيمتراً وكان سمك كل مئة ورقة سنتيمتراً واحداً فنسبة التجعد الذي كسمك الورقة الى سطح اللبن كنسبة واحد الى ٤٠٠٠ ولكن اذا كان ارتفاع الموجة مئة قدم وهو ما لا تبلغهُ موجة وسعة البحر مئة ميل فقط فنسبة ارتفاع الموجة الى سعة البحر كنسبة ١ الى ٥٢٨٠ واذا كانت سعة البحر الف ميل فتصير النسبة مثل واحد الى ٥٢٨٠٠ . فالرياح لا تؤَثر في شكل البحر بوجه عام تأثيراً يغير كروية سطح البحر . واذا دهنتم سطح بطيخة كبيرة بقليل من الماء او الزيت فنسبة هذا الماء او الزيت الى البطيخة اكبر من نسبة البحار الى كرة الارض

(٤) ضرس الانسان

ومنهُ . لماذا يضرس الانسان عند اكلهِ الحوامض

ج . لا نتذكر اننا قرأنا لاحد بحثاً في هذا الموضوع ولم نجد كلاماً فيهِ في ما لدينا من الكتب العلمية ويظهر بادىء بدءٍ ان الحامض يؤَثر في الاسنان تأْثيراً كيماويًّا ينتج عنهُ الشعور بالضرس ولكن ليس الامر كذلك لان الانسان قد يأْكل اشياء حامضة ولا يشعر بالضرس وقد يضرس من غير ان يأْكل اشياء حامضة بل قد يضرس لصوت يسمعهُ فيؤْذي اذنهُ ولذلك فالشعور بالضرس حالة عصبية نفسية مثل فيض اللعاب وقت رؤْية المواد الحامضة والمآكل الشهيَّة او ذكر اسمها او التفكير بها . ولعلَّ سببهُ ان اسلاف الانسان كانوا في زمن من الازمان يقاصّون من يأْكل الاثمار قبلما تنضج بضربهِ على اسنانهِ فصار يشعر هذا الشعور في اسنانهِ كلما اكل اثماراً حامضة

(٥) التنويم المغنطيسي

مصر . الخواجه ميشال معلوف . ماهو التنويم المغنطيسي

ج . هو حالة ذهول او نوم من غير استغراق يصيب بعض الناس من تحديقهم في شيءٍ لامع او من رؤْيتهم حركات متكررة تحدث امامهم مع اعتقادهم انها تنوّمهم

(٦) التنويم المغنطيسي ومعرفة المستقبل

ومنهُ . هل تنحصر قوة التنويم المغنطيسي في معرفة الماضي والحاضر او تتجاوز الى معرفة المستقبل ايضاً

ج . ان من ينام النوم المغنطيسي لا ينقطع عن الشعور كالمستغرق في نومهِ بل يبقى يسمع ويجيب عمَّا يعلمهُ كانهُ مستيقظ ساهٍ وهو لا يعلم شيئاً من امر المستقبل الاَّ ما يستطيع حزرهُ لو كان مستيقظاً

(٧) اصابة العين

ومنهُ . هل من صحة للحوادث التي تروى عن اصابة العين كأَن ينظر انسان الى شجرة فتيبس

ج . لم يقل احد من العلماء الذين يوثق بهم انهُ بحث عن حادثة من هذه الحوادث فوجدها صحيحة . اذا قال لك احد انهُ رأى حماراً طار من مصر الى الاسكندرية لم تصدقهُ لان اختبار كل الناس يدل على أن الحمار لا يطير ولكن طيران الحمار ليس مستحيلاً لذاتهِ فقد وجدت في العصور الجيولوجية حيوانات مجنحة تطير وبعضها كبير كالحمار ولا يستحيل ان يولد حمار بجناحين يطير بهما ولكن بين كون الشيء غير مستحيل لذاتهِ وبين وقوعهِ فعلاً بون شاسع فالامور المخالفة لاختبار الناس وهي غير مستحيلة لذاتها لا تصدَّق ما لم تقم عليها الادلة القاطعة

(٨) هلام الخيار

القدس . ابرهيم افندي توفيق فرح . كيف يصنع هلام الخيار (Cucumber jelly)

ج . يصنع هلام الخيار وكل الاثمار بفرمها واغلائها مع قليل من الماء حتى تنضج

جيداً ثم وضعها في كيس وعصرها واغلاء العصير ايضاً بعد ان يضاف اليهِ قليل من السكر • وقد شاع الآن ذلك الجسم بالخيار او بهلامهِ لتليينهِ تستعملهُ المترفهات المتجملات لذلك

(٩) حفظ الرمان

ومنهُ • هل يمكن وضع الرمان في صناديق وارسالهُ من بلاد الى أُخرى من غير ان يتلف وكيف ذلك

ج • نعم يترك حتى تجف قشرتهُ ثم يلف بورق الحامض السليسيليك ويوضع في الصناديق بحيث لا يتقلقل بحركة السفينة ولا يزحم بعضهُ بعضاً • ويصنع ورق الحامض السليسيليك هذا بان يذاب الحامض في الالكحول ثم يضاف الى المذوب ماء اقل مما يلزم لارسابهِ وينقع الورق في المذوب ويجفف • وهو مضاد للفساد ويمنع اهتراء الاثمار

(١٠) هواء الصنوبر وهواء التين

نيو اورلينس • طانيوس افندي خليل ابي حيدر • لماذا يكون هواء شجر الصنوبر جيداً وهواء شجر التين رديئاً

ج • ان ما ذكرتموهُ هو الاعتقاد الشائع ولا نتذكر ان احداً بحث عن صحتهِ بحثاً علميًّا مدققاً واثبتهُ بالامتحان • وان صح فالمرجح ان سببهُ هو ان ورق الصنوبر قليل التبخر وورق التين كثير التبخر فيكون الهواء الذي حول الاول اجف من الهواء الذي حول الثاني والهواء الجاف اصح من الهواء الرطب ثم ان في الصنوبر مادة راتينجية ومواد اخرى من نوعها وكلها مضادة للفساد ولا يبعد انها تساعد على تكوُّن الاوزون في الهواء وليس كذلك ورق التين • والاوزون يصحح الهواء ويفيد الصحة

(١١) سكة حديد الدلتا

طرابلس الشام • احد المشتركين • اصحيح ان الحكومة المصرية ضامنة ثلاثة في المئة للعشرة الجنيهات الثمن الاصلي لسهم سكة حديد الدلتا الضيقة الممتاز اذا قل ايرادهُ السنوي عن ذلك

ج • نعم

ومنهُ • هل يوجد مراقب من قبل الحكومة في هذه الشركة يراقب اعمالها

ج • كلاَّ ولكن يوجد قومسيون من قبل الحكومة يفحص اعمالها

(١٢) العلوم الرياضية والعلوم الطبيعية

فراشه • شيخ العرب ابو هاشم علي قريط • ايهما انفع للهيئة الاجتماعية العلوم الادبية او العلوم الطبيعية

ج • اذا اريد بالنفع النفع المادي اي تسهيل السفر ونقل الاخبار وتسهيل الحرث والحصد والطحن وما اشبه من الافعال والاعمال فالعلوم الطبيعية انفع جدًّا ولا نسبة بينها وبين العلوم الادبية واذا اريد بالنفع تهذيب الاخلاق واراحة البال وارضاء النفس

فالعلوم الادبية انفع

(١٣) مقدار الغرش البرازيلي

بغداد . الخواجه هارتيون مراديان . ما مقدار الغرش البرازيلي حسب العملة العثمانية

ج . ليس في بلاد البراز بل نقد يسمَّى غرشاً ولكن فيها الملريس وهو يساوي ١٢ غرشاً ونصف غرش من الغروش العثمانية اذا حسبت الليرة العثمانية مئة غرش . ويقسم الملريس الى الف ريس وعندهم نقود فضية يساوي الواحد منها نصف ملريس وملريسين

(١٤) الاستفهام عن جريدة

ومنهُ . ما افضل جريدة علمية انكليزية في الاخلاص وطلب الحقيقة لذاتها

ج . لا نظن ان في اللغة الانكليزية جرائد في الاخلاص ولا ندري كيف تنشأ جريدة في موضوع واحد يمكن استيفاؤُهُ في مقالة واحدة . اما من حيث طلب الحقيقة لذاتها فكل الجرائد العلمية المجرَّدة تطلب الحقائق لذاتها فالجرائد الرياضية تطلب الحقائق الرياضية او تبحث عن الحقائق الرياضية والجرائد الفلسفية تطلب الحقائق الفلسفية او تبحث عن الحقائق الفلسفية وهلم جرًّا

(١٥) الفلسفة الثيوصوفية

ومنهُ . ما هي الفلسفة الثيوصوفية

ج . هي نوعٌ من التصوُّف المسيحي يدَّعي اصحابها انهم يعرفون الله بالبداهة والتأمل والاتصال بالله نفسهِ فلا داعي لكتاب ولا لوحي . ومبدأُ الثيوصوفية قديم ثم اشاعهُ ووسع نطاقهُ يعقوب بوهم المتوفَّى سنة ١٦٢٤ الملقب بالفيلسوف الثيوتوني وقد ذهب الى ان الوجود المحدود فيض من فيوض الوجود غير المحدود وهذا الفيض الذي يظهر بالنار والنور والروح انما هو صفة لازمة لله واجب الوجود. وان الناس والملائكة وجدوا من النار الالهية ومنها يتولد في نفوسهم النور والمحبة . وقد اختلطت الثيوصوفية الآن بالتصوُّف الهندي ولاصحابها دعاوٍ طويلة عريضة ربما شرحناها في بعض الاجزاء التالية

(١٦) الحب والبغض

بغداد . داود افندي فتو . كيف تعللون الحب او البغض الذي يشعر بهِ الانسان بغتةً حينما يرى شخصاً لم يكن قد رآهُ من قبل ولا عرف شيئاً من اخلاقهِ

ج . للانسان معارف عرف اوصافهم الظاهرة واختبر اخلاقهم . وهو في الغالب يعلق الخُلق بالخَلق فاذا عرف رجلاً دقيق الانف صغير الفم طاق المحيَّا وعرف من اخلاقهِ انهُ سليم النية حسن الطوية ثم رأى رجلاً آخر يشبههُ في هيئتهِ اعتقد انهُ مثلهُ سليم النية حسن الطوية فاحبهُ . واذا رأى رجلاً اصفر الوجه صغير العينين مقرون الحاجبين وعرف انهُ حقود او غدَّار ثم رأى رجلاً آخر يشبههُ خَلقاً اعتقد انهُ مثلهُ خُلقاً فكرههُ . ويحدث

كثيراً ان ترى انساناً فتحبهُ وتعتقد فيهِ الاخلاص وحسن الوطنية ثم تجدهُ ذئباً خاطفاً وترى آخر فتكرههُ وتظنهُ لئيماً مفسداً ثم تجدهُ صديقاً مخلصاً وما احسن ما قيل

ان الرجال صناديق مقفلة
وما مفاتيحها الاَّ التجاريبُ

(١٧) الاشجار الدائمة الورق

كدوك بالسودان . ت . ر . ما هي الاشجار التي تنمو في سواحل سورية وتحفظ اوراقها مدة فصل الشتاء ومتى تغرس وايُّها يحتاج الى الماء

ج . النخل من الاشجار التي لا تسقط اوراقها وهو يكتفي بما يسقاهُ من ماء المطر واشجار الليمون على انواعها تبقى خضراء في الشتاء ولو سقطت اوراقها وهي تكتفي ايضاً بالمطر ولكن الغالب انها تروى صيفاً في الجنائن من مياه النواعير (السواقي) او الانهر . والسنديان والصنوبر والخرنوب وما اشبه من الاشجار البرية الصغيرة الورق لا تتعرى من ورقها في فصل الشتاء ولو سقط كثير منهُ وهي تكتفي بماء المطر . وتغرس الاشجار كلها هناك في اواخر فصل الشتاء

(١٨) الثلج الاصطناعي

سان باولو بالبرازيل . ا . ب . ما هي المواد اللازمة لعمل الثلج الاصطناعي وكيف يصنعونهُ وهل توجد آلة صغيرة لذلك

ج . الطريقة المستعملة الآن في معامل الثلج الكبيرة ان تفتح آنية فيها سائل الايثر او الحامض الكبريتوس او الامونيا و يسحب البخار المتولد منهُ بآلة بخارية فيبرد جدًّا ويمر وهو بارد كذلك في انابيب كبيرة مغمورة بالماء الملح فيبرد هذا الماء جدًّا ويكون فيهِ صناديق معدنية فيها ماء نقي فيبرد ويجمد . وتوجد آلات صغيرة لعمل الثلج بسحب الهواء من حول اناء فيهِ ماء فيتبخر بعض الماء والآلة تسحب البخار كما سحبت الهواء ويكون قرب اناء الماء اناء فيهِ حامض كبريتيك فيمتص بخار الماء فاذا استمرَّ سحب البخار الذي يخرج من الماء برد باقي الماء وصار جليداً

(١٩) برهان الخطأَين

حماه . الدكتور صبري فرح . ورد في فصل الخطأين من كشف الحجاب للمرحوم بطرس البستاني ان للخطأين برهاناً غير النسبة عدل عن ذكرهِ هناك لان فهمهُ يتوقف على معرفة علم الهندسة فما هو هذا البرهان

ج نظن انه اراد علم الجبر . والبرهان الجبري على صحة الخطأين مذكور في الصفحة ٥٤٥ من المجلد الثامن من المقتطف

(٢٠) الماسونية وملك الانكليز

مصر . امين افندي محمد . نشرتم في الجزء الاخير من المقتطف صورة منقولة عن صورة فوتوغرافية للمرحوم المأسوف عليهِ الملك ادورد السابع ملك الانكليز وامبراطور الهند ويظهر منها جليًّا ان جلالتهُ كان

ماسونيًّا بل رئيساً اعظم للماسونية . وقد قرأت مقالات في مجلة المشرق خلاصتها ان الماسون كلهم كجمعية اشرار منافقون فكيف يوفق كاتبها بين دعواهُ هذه و بين الحقيقة الناصعة وهي ان بين رؤَساء الماسونية المعلين لمنارها رجلاً مثل الملك ادورد السابع

ج . الاولى بكم ان تطرحوا هذا السوٴال على المشرق نفسهِ وتسمعوا جوابهُ . ثم ان رئيس الماسونية في بلاد الانكليز الآن هو صاحب السمو الملكي دوق كنوت اخو الملك ادورد السابع وهو لا يقلُّ عن اخيهِ فضلاً وجلالة قدْر . وكلما فكَّرنا في المشاغبات والمطاعنات الدينية يخطر لنا قول مَن قال ان على الانسان ان يتغلَّب على كثير من المتاعب الطبيعية حتى يهنأَ لهُ العيش فلا يزيدنَّ متاعبهُ متاعب بهذه المناقشات والمشاغبات وهو في غنىً عنها . وحبذا كل جمعية تؤلف بين قلوب الناس حتى ينصرفوا الى القيام بما يجب عليهم نحو انفسهم ووطنهم وخالقهم

(٢١) بعض المواد المستعملة في الصناعة

الزقازيق . حسن افندي صالح . ما هي المواد الآتية المذكورة في كتاب منتهى المنافع في أنواع الصنائع . راتينج لامي . راتينج جيد . التربنتينا . زيت الخشخاش . راتينج براز يليا . القرمز العادي . الجادي . الكهرباء الذائبة . القوتالامبا . زبدة الانتيمون . الحامض المورياتيك . المغنيسيا . القوبال

ج . الراتينج اللامي (Elemi) صمغ يؤتى بهِ من جزائر الهند الشرقية والبرازيل

الراتينج (Resina) صمغ الصنوبر و يعرف ايضاً بالقلفونة

التربنتينا (Terebinthina) سائل يستخرج من الصنوبر والبطم

زيت الخشخاش (Oleum papaveris) زيت يستخرج من بزر الخشخاش

راتينج براز يليا هو الراتينج اللامي الذي يجلب من البرازيل

القرمز (Kermes) هو الصبغ الاحمر المعروف عند العامة بالدودة

الجادي هو الزعفران ولعلهُ يريد الجاوي اي البخور الجاوي (Benzoinum)

الكهرباء الذائبة هي الكهرباء المعروفة تذاب على النار ثم يضاف اليها زيت بزر الكتان المسخَّن والتربنتينا وتترك حتى تبرد فتبقى سائلة . ولعلهُ يريد (Liquidamber) وهو الميعة

القوتالامبا لعلهُ يريد بها الكوتابرخا

زبدة الانتيمون هي كلوريد الانتيمون

الحامض المورياتيك هو الحامض الهيدروكلوريك و يعرف ايضاً بروح الملح

المغنيسيا هي اكسيد المغنيسيوم

القوبال (Copal) صمغ شجر يؤتى بهِ من افريقية واميركا الجنوبية وجزائر الهند يعمل منهُ القرنيش وهو شبيه بالسندروس

باب الاخبار العلمية

مذنب هلي

يظهر لنا من مراجعة المجلات العلمية ان مذنب هلي لم يظهر في بلاد من البلدان باجلى مما ظهر في عاصمة الديار المصرية وقد شاهدناهُ صباح السابع عشر من شهر مايو ومساء الرابع والعشرين فكان في الحالين بديعاً والصورة التي رسمناها لهُ في الجزء الماضي من المقتطف رسمناها باليد كما شاهدناهُ بالعين وقد شاهدنا صباح التاسع عشر من مايو نوراً مستطيراً فوق الافق الشرقي لم نعلم ما هو ويظهر الآن انهُ جانب من الذنب وقد انفصل عن المذنب بدفع الارض لهُ ولذلك لما ظهر المذنب في المساء ليلة العشرين والحادي والعشرين من مايو كان ذنبهُ قصيراً اي نحو ٢٠ درجة لانفصال ذلك الجزء منهُ ثم جعل يطول رويداً رويداً الى ان بلغ اربعين درجة او اكثر . وقد كتب الينا بعضهم من السودان انهُ شاهد الذنب صباح الثامن عشر من مايو وطولهُ اكثر من تسعين درجة

مقدار الذهب

بلغ ما استخرج من الذهب سنة ١٨٩٥ اقل من ٤٠ مليون جنيه وقد بلغ ما استخرج في العام الماضي نحو ٩٠ مليون جنيه وزاد المستخرج في هذه السنوات على ما ترى في هذا الجدول

سنة	جنيه
١٨٩٥	٣٩٨٠٠٠٠٠
١٨٩٦	٤٢٢٥٠٠٠٠
١٨٩٧	٤٧٠٢٠٠٠٠
١٨٩٨	٥٧٨٣٠٠٠٠
١٨٩٩	٦٢٤٦٠٠٠٠
١٩٠٠	٥١١٨٠٠٠٠
١٩٠١	٥٢٢٠٠٠٠٠
١٩٠٢	٥٩٣٤٠٠٠٠
١٩٠٣	٦٥٠٥٤٠٠٠٠
١٩٠٤	٦٩٤٧٠٠٠٠
١٩٠٥	٧٦٠٥٠٠٠٠
١٩٠٦	٨٢١٩٠٠٠٠
١٩٠٧	٨٢١١٠٠٠٠
١٩٠٨	٨٨٣٨٠٠٠٠
١٩٠٩	٨٩٩٠٠٠٠٠

وعلى نسبة زيادة الذهب غلت الحاجيات والكماليات وكثرة الذهب هي سبب الغلاء في الغالب

الفضل يعرفهُ ذووهُ

ذكرنا في ترجمة كوخ في هذا الجزء ان اول استنباط استنبطهُ طريقة استنبات الميكروبات حتى يكون كل نوع منها وحدهُ فيسهل البحث في طبائعهِ . وقد جاء في مقدمة كتاب للاستاذ كوهنهيم الذي كان لهُ السبق في وضع علم الباثولوجيا الفسيولوجية كيف قابل استنباط كوخ هذا وهو استاذ من اشهر الاساتذة وكوخ شاب مجهول الاسم وذلك ان كوخ كتب سنة ١٨٧٥ الى الاستاذ كهن استاذ النبات الشهير في جامعة برسلو يتوسل اليهِ ان ينظر في مستنبتات من باشلس البثرة الخبيثة استنبتها نقية من كل شائبة . وكان كثيرون قد ادَّعوا مثل هذه الدعوى وطلبوا من الاستاذ كهن النظر في دعواهم فوجدها باطلة فلم يعبأ بطلب كوخ اولاً ولكن كوخ شرح لهُ كيفية عملهِ وللحال اقتنع بصحة طريقتهِ وارسل الى المعمل الباثولوجي يطلب ان يحضر احد منهُ ليشاهد ما استنبطهُ كوخ فقام الاستاذ كوهنهيم وجاء بنفسهِ لان مساعدهُ كان مشغولاً ولما عاد الى معملهِ قال للتلامذة قوموا اتركوا كل شيء وامضوا الى كوخ فان هذا الرجل قد اكتشف اكتشافاً عظيماً جدًّا يستحق لبساطتهِ ودقتهِ كلَّ اعجاب لاسيما وانهُ ساكن بعيداً عن المراكز العلمية وقد اتمهُ كلهُ بنفسهِ فهو استنباط تام بكلياتهِ وجزئياتهِ وعندي انهُ اعظم اكتشاف في علم الميكروبات وسيدهشنا كوخ بمكتشفاتهِ ويثبت لنا اننا لا نستحق شيئاً من الاكرام الذي نلناهُ

زلزلة اقلينو

اقلينو ولاية ايطالية على ٣٠ ميلاً شرقي نابلي اصابتها زلزلة شديدة في ٧ يونيو . وقد حدثت فيها زلزلة سنة ١٦٩٤ فخربت مدينة كالتري وقتلت ٧٠٠ نفس من اهلها

دواء الجراد

وجدوا في جنوبي افريقية ان انجع علاج لاهلاك الجراد متى كثر ان ترش المروج التي يقع فيها بمذوب مخفف من زرنيخيت الصوديوم والدبس فالجراد يأكل النبات الذي يقع عليهِ هذا المذوب ويسم ويموت وقد يأتي رجل آخر من الجراد ويأكل الجراد الميت فيموت ايضاً . وبعد استعمال هذا العلاج قل الضرر من الجراد

اللغة الانكليزية

صدر امر امبراطور الصين بجعل اللغة الانكليزية اللغة الرسمية لتعلُّم العلوم والصنائع وجعل درسها اجباريًّا في كل المدارس العلمية والصناعية

هؤلاء الصينيون عرفوا الآن كيف يستفيدون من الانكليز و يناظرونهم وسيحذون حذو اخوانهم اليابانيين فقد كتب الينا صديق سوري مقيم في بلاد اليابان يقول ان اليابانيين تعلَّموا لغة الانكليز وعلومهم وصنائعهم وهم يناظرونهم الآن في اسواق المشرق . ثم عرض علينا آلات لحلج القطن وآلات لعمل الحبال من قش الرز وقال ان ثمنها بخس جدًّا لرخص اجرة العمال في بلاد اليابان . ونحن في مصر نناديِ بكره الانكليز حتى صرنا نكره تعلُّم لغتهم ولو استطاع بعض كتَّابنا الكرام لارجعونا الى قلب بلاد العرب حتى لا يبقى للانكليز اتصال بنا ولا للانكليزية وصول الينا فلينعم الانكليز بالاً انهم لن يروا من ابناء هذا القطر مناظراً لهم كما رأَوا من اليابانيين لان الحث متصل على كرههم و كره لغتهم

كنوز بحيرة نمي

كان للامبراطور كاليجولا الروماني سفينة من اكبر السفائن واثمنها غرقت في بحيرة نمي قرب رومية في اواسط القرن الاول المسيحي وقد انسى مرور الزمن الناس امرها حتى صاروا يعدُّون الكلام عنها حديث خرافة . لكن الصيادين وجدوا قطعاً من الخشب والنحاس حيث يقال ان السفينة غرقت فاهتمَّ علماءُ الآثار بامرها ورغبوا الغواصين في الغوص عليها وتطرَّف بعضهم حتى اشار بنزح ماء تلك البحيرة . وقد وُجد هناك الآن تمثال من البرنز يظن انهُ تمثال دروسلاَّ اخت الامبراطور كاليجولا التي الَّهها وهي حية وامر الناس بعبادتها . ووجد مع هذا التمثال تماثيل أُخرى صغيرة ولعلها كانت منصوبة في دائرة حول قدمي تمثال دروسلاَّ

وقد غرق في تلك البحيرة سفينة أُخرى وهي للامبراطور طيباريوس ولكن سفينة كاليجولا كانت اكبر منها واثمن بما لا يقدَّر . كان طولها اكثر من مئتي قدم وكان ظهرها مفروشاً ببلاط البرفير والسربنتين والزجاج الملون وكان في موُخرها هيكل تعبد فيهِ اخت الامبراطور ويعبد فيهِ هو لانهُ الَّهَ نفسهُ ايضاً وفي مقدمها حديقة غناء باشجارها ودواليها وازهارها ورياحينها وفي طرف المقدَّم عرش عالٍ فوقهُ قبة من الخشب الثمين مرصعة بالذهب والحجارة الكريمة فكان الامبراطور يجلس على هذا العرش ويرى ضيوفهُ يخطرون في تلك الحديقة وكان يقضي اكثر اوقاتهِ فيها لئلاَّ يغتالهُ احدٌ لكن جورهُ الجأَ رجالهُ الى اغتيالهِ . ومن المرجح انهُ جمع في تلك السفينة كثيراً من اموالهِ وسواءٌ صحَّ ذلك او لم يصح فلا شبهة في انها كانت حافلة بالتماثيل من النحاس والرخام والآنية الثمينة وبدائع المصنوعات فلا عجب اذا اهتم علماءُ الآثار والفنون باستخراجها من قاع البحيرة

ميكروب يأكل الحديد

اذا طمرت مواسير الحديد من غير ان تدهن بدهان يقيها فالغالب انها تتأكل وتنخر وقد بيَّن بعضهم الآن في جرنال الكيمياء الصناعية والهندسية ان سبب تأكل الحديد هو ان نوعاً من الميكروبات يفرز حامضاً يذيب الحديد حيث يصيبهُ ونوعاً آخر يكون في الارض مادة حامضة تتحد بالحديد وتحلهُ

كهربائية الراديوم

اذا وضع الراديوم في انبوبة من الزجاج الذي فيهِ قليل من الرصاص ضرب لون الزجاج الى البنفسجي وتولّد من الراديوم شرارت كهربائية تتوالى كل نحو دقيقة من الزمان

النمل الخباز

النمل الراعي والنمل الزارع والنمل الحاصد اوصاف معروفة لانواع من النمل الاول يربي المن ليحلبهُ ويستخرج العصارة الحلوة منهُ والثاني يزرع الحبوب وانواع الفطر ويستغلها والثالث يجمع الحبوب ويخزنها . وقد وجد الاستاذ نجر استاذ علم النبات في مدرسة الحراج قرب درسدن ان النمل العادي في المانيا يجمع الحبوب ويتركها حتى تكاد تنبت فيخرجها وينشرها في الشمس حتى تجف جيداً وتيبس فيعيدها الى قراهُ ويقرضها ويعجنها ويصنع منها اقراصاً صغيرة ينشرها في الشمس حتى تجف وتخبز فيعيدها الى اهرائهِ لتكون طعاماً لهُ

النمل الخياط

ذكر بعضهم انهُ رأى النمل في افريقية يخيط اوراق الشجر ويصنع منها بيوتاً يقيم فيها في الاشجار . والخيوط حرير يفرزهُ كما يفرز دود الحرير حريرهُ واذا لم يجد ورقتين متقاربتين تصل احداها الى الاخرى تعلق بعضهُ ببعض في شكل سلسلة ممتدة بين الورقتين وجعل يلفقهما معاً بخيوطهِ ويشدهما الى ان تتصلا وتلتصقا وقد تستمر هذه السلسلة من النمل ساعات متوالية تعمل في الوصل بين الورقتين

الطيران فوق بحر المانش

طار المستر روس بطيارة ذات سطحين من دوفر الى سنغات (بفرنسا قرب كاله) ودار حول محطتها ثم عاد الى دوفر واتمَّ ذلك في ساعة ونصف وكان متوسط ارتفاعهِ فوق الماء ٨٠٠ قدم وهذه اول مرة طار فيها طيَّار فوق الخليج الانكليزي ذهاباً واياباً . وطار بعضهم بطيارة الجيش الانكليزي من فارنبرو الى لندن ثم عاد الى فارنبرو وكانت سرعتهُ ٢٦ ميلاً في الساعة ومعظم ارتفاعهِ فوق الارض ١٨٠٠ قدم ومتوسطهُ ١٠٠٠ قدم وكانت

قوة الآلة في الطيارة ٣٥ حصاناً . وفارنبرو على ثلاثين ميلاً من لندن

البارجة البرازيلية الجديدة

بنت المعامل الانكليزية بارجة لجمهورية برازيل من اقوى البوارج واسرعها وامنعها وقد امتحنت سرعتها في الثالث من شهر يونيو فوجدت ٢١ ميلاً بحريًّا واكثر من ستة اعشار الميل وكان الاتفاق مع المعامل على ان تكون سرعتها ٢١ ميلاً بحريًّا . وجربت مدافعها فاطلق منها احد عشر مدفعاً صغيراً قطر فوهة كلٍّ منها ٤ بوصات وسبعة اعشار وعشرة مدافع كبيرة قطر فوهة كلٍّ منها ١٢ بوصة اطلقت هذه المدافع كلها دفعة واحدة بآلة كهربائية وهذا مما لم يقع في بارجة قبل الآن . ومدافع هذه البارجة تتحرك بآلة كهربائية تمنع تسديد مدفع منها بحيث يضر بغيرهِ من مدافعها

لفظة قاضٍ

بعد كتابة المقالة التي عنوانها « كتاب عمر والقضاء » المنشورة في هذا العدد جاءنا من حضرة اقلاديوس بك لبيب ان كلمة « كاتي » بالهيروغليفية والقبطية تشبه كلمة قاضٍ لفظاً ومعنى فانهُ يراد بها الرئيس او حاكم العمال . ومن معانيها ايضاً فهيم وفطن ومتبصر وهي في الاصل من مادة « كات » او « كوت » . ومعناها عمل او صنع او انشأ

احتفال المدرسة الكلية السورية الانجيلية

احتفلت المدرسة الكلية السورية الانجيلية احتفالها الحادي والاربعين في الثاني والعشرين من شهر يونيو الماضي بحضور جمع غفير من اعيان بيروت وعلمائها وادبائها فتليت الخطب المعتادة ووزعت الشهادات على مستحقيها وهم ١٨ من القسم الطبي نالوا رتبة دكتور في الطب والجراحة و ١٨ من القسم الصيدلي نالوا رتبة معلم في الصيدلة و ١٢ من القسم التجاري نالوا رتبة بكلوريوس في التجارة و ١٩ من القسم العلمي نالوا رتبة بكلوريوس في العلوم . وقد منحت المدرسة ايضاً رتبة معلم في العلوم لخمسة من متخرجيها السابقين ورتبة دكتور في الشرائع لحضرة المحامي المشهور اخنوخ افندي فانوس وهو من متخرجيها ايضاً ورتبة بكلوريوس في العلوم لحضرة عباس افندي حمية من رجال القضاء المشهورين في جبل لبنان فنهنئهم جميعاً بما نالوا

هبة اميركية كبيرة

اوصى المستر اسحق وين بتركتهِ كلها لجامعة برنستن وتقدَّر قيمتها بمليوني جنيه

وقع خطأٌ في المعادلة الجبرية الواردة في السطر ١١ من الصفحة ٦٧٤ وصوابها ر = ١ (١ + نجث)

فهرس الجزء الاول من المجلد السابع والثلاثين

٦١٧ شاهين بك مكاريوس (مصوَّرة)
٦٢٣ اللغة العربية والطب . للدكتور محمد عبد الحميد حكيم اسبتالية قليوب
٦٢٥ الشعراء والسرقات او المآخذ الشعرية . لعيسى افندي اسكندر المعلوف
٦٢٩ المتاولة او الشيعة في جبل عامل . لأحمد افندي رضا
٦٣٦ كتاب عمر والقضاء
٦٤١ حرب القرم
٦٥٠ مستقبل الزنوج
٦٥٣ النقوش العربية والصور
٦٥٨ معجم الحيوان . للدكتور امين المعلوف (مصوَّرة)
٦٦٤ روبرت كوخ (مصوَّرة)
٦٧٠ الانباء من عالم الاموات
٦٧٦ الدكتور شميل وفلسفة النشوء . للدكتور نقولا فياض

٦٨١ باب تدبير المنزل ✲ اللحم وطبخهُ . ازالة النمش . الدكتورة اليصابات بلاكويل
٦٨٦ باب الزراعة ✲ الرخاء عامٌّ لولا الدَّين . القطن المصري . مؤتمر الزراعة الاستوائية
٦٩٢ باب المراسلة والمناظرة ✲ الفصاحة وكتاب العصر . تصحيح احتضار رزق الله حسون
٦٩٥ باب التقريظ والانتقاد ✲ مجموعة الدكتور شميل . دروس التاريخ الاسلامي . ارشاد الاديب . كتاب القضاة والنوَّاب . مبادئُ الفلسفة القديمة . كتاب امراض النساء . السمير . جمعية تهذيب الشبيبة السورية . الحسناء . كتاب معنى الحياة وكتاب ثمرة الحياة . حياة اللغة العربية . مساحة ما زرع من القطن في سنة ١٩٠٩ . خواص المادَّة . العلم . المكافحة ضد مرض السلّ . التلميذ . امام غزَّالي . خريطة القطر المصري . الفرائد . حسناء سالونيك . النتيجة الشرقية . تربية البنات . تنهدات البوسفور . ترقي العائلات في تربية البنات . الآثار المصرية . كتاب سمير الليالي . مجلة جمعية الاقتصاد السياسي الخديوية . الروايات الجديدة . رواية فتاة بروسيدا . رسملي كتاب
٧٠٨ باب المسائل ✲ جمعية الحرم . تطعيم الزيتون . كروية الارض وحركة الماء . ضرس الانسان . التنويم المغنطيسي . التنويم المغنطيسي ومعرفة المستقبل . اصابة العين . هلام الخيار . حفظ الرمان . هواء الصنوبر وهواء التين . سكة حديد الدلتا . العلوم الرياضية والعلوم الطبيعية . مقدار الغرش البرازيلي . الاستفهام عن جريدة . الفلسفة الثيوصوفية . الحب والبغض . الاشجار الدائمة الورق . الثلج الاصطناعي . برهان الخطأين . الماسونية وملك الانكليز . بعض المواد المستعملة في الصناعة
٧١٥ باب الاخبار العلمية ✲ وفيه ١٦ نبذة